مغامرات بينوكيو

دمية من خشب

مغامرات بينوكيو.. دمية من خشب

كارلو كولّودي

ترجمها من الإسبانية: محمد نزير الحمصي

الطبعة العربيّة الأولى 2022

© حقوق الطبع محفوظة بموجب عقد 2022.

الآن ناشرون وموزعون

المدير العام: د. باسم الزعبي

الأردن، عمّان، شارع الملكة رانيا، بجانب صحيفة «الرأي»، مجمع المفلح التجاري(87)، ط1.

هاتف: 797162720، 65620722 (962+)

alaan.publish@gmail.com

www.alaanpublish.com

مراجعة الترجمة: حنان سالم زكّار

تصميم الغلاف: بسام حمدان

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

ISBN:978-9923-13-231-9

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(677/2/2020)

813.03

كولودي، كارلو

مغامرات بينوكيو دمية من خشب/ كارلو كولودي ، ترجمة: محمد نزير الحمصي. عمان: الآن ناشرون وموزعون، 2020

(228) ص

ر. إ: 677/2/2020

الواصفات: الروايات العربية/ / الأدب العربي/ / العصر الحديث /

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

كارلو كولّودي

مغامرات بينوكيو

دمية من خشب

ترجمة: محمد نزير الحمصي

رواية

مقدمة

لم يتخيّل مؤلف مغامرات بينوكيو التي قيل فيها: إن «الكتاب المقدس» و«القرآن الكريم» هما فقط يتفوقان عليها في عدد الترجمات إلى جميع لغات العالم، أن تصبح قصته رائعة من روائع أدب الأطفال على مر العصور؛ لأن القصة في أصلها تتسم بفروق دقيقة وقاسية، ما يجعلها بعيدة عن هذا المسار.

*كان كولّودي مفتونًا بفكرة استخدام شخصية ودودة للتعبير عن قناعاته الشخصية، لذلك وجد ضالته عندما وافق عام **1880** على كتابة «قصة دمية»، بناءً على طلب من «فرناندو مارتيني»، الذي كان يدير صحيفة «ال بامبينينو»، وهي أول صحيفة إيطالية للأطفال، رغبة منه في سداد الديون التي تراكمت عليه.*

ظلّت قصة الدمية تُنشَر أسبوعيًّا في تلك المجلة إلى أن انتهت بعد ثلاث سنوات. بعد ذلك نُشرت بأسلوب مختلف على شكل كتاب، ومنذ ذلك الحين، تُوبّخ جميع الأمهات أطفالهن عند قول الأكاذيب بنفس الطريقة: «انظر، أنفك ينمو لأنك تكذب!».

هذه القصة تلخّص بشكل عام السيرة الذاتية الأدبية لكارلو كولّودي، منذ بداياته الأولى صحفيًّا ساخرًا، مرورًا ببراعته في الاستفادة من المخزون المعرفي الكبير الذي شكّله نتيجة عمله، والذي جعله قادرًا على التحوير والاقتباس من روائع أدب الشرق والغرب بطريقة مدروسة وغير مرئية، وصولًا إلى السرد العبثي للمغامرات المليئة بالأحداث المؤلمة والمفارقات

الغريبة التي تحاكي بشكل أو بآخر الأوضاع التي كانت سائدة في مجتمعه. ما يجعل من هذه القصة عملًا يحاكي الشيفرات والرموز، كل هذا مع توسكانا بوصفها خلفيةً ثقافيةً وبيئية.

محمد نزير الحمصي

الفصل الأول

كيف وجد معلم النجارة سيريزا «كرزة» اللوح الخشبي الذي يبكي ويضحك مثل طفل صغير؟

سيقول قرائي الصغار مباشرة..

- ملك!

- لا.. يا شباب، لا شيء من هذا القبيل.

كانت هذه عبارة عن قطعة خشب، لكنها لم تكن من نوع الأخشاب الفاخرة، بل ببساطة كانت جذع شجرة مثل تلك التي توضع في المدافئ والمواقد، وتُشعَل من أجل تدفئة الغرف في فصل الشتاء.

حسنٌ يا سادة.. هذه هي الحال، الله وحده هو الذي يعلم كيف أن اللوح الخشبي الذي سأروي قصته، توقّف في اليوم المعلوم عند ورشة نجار عجوز يدعى المعلم أنطونيو الذي كان الجميع يلقبونه بالمعلم سيريزا «كرزة»؛ لأن مقدمة (أرنبة) أنفه كانت دائمًا حمراء، وتلمع مثل حبة كرز ناضجة.

عندما رأى سيريزا أو «كرزة» قطعة الخشب تلك فرح بها أكثر من فرحته بالعيد، وبدأ بفرك يديه وهو يقول لنفسه:

«لقد وصلْتِ في الوقت المناسب، قولًا وفعلًا.. سأصنع منكِ ساقًا لإحدى الطاولات».

ثم أخذ الفأس (البلطة) للبدء في إزالة لحائها وكشطها، لكنه عندما همّ بإنزال ضربة البلطة الأولى، توقفت ذراعه الممدودة في الهواء، لأنه سمع صوتًا ناعمًا ورقيقًا يقول بنبرة استعطاف:

- لا.. لا تضربني بقوة.

ولكم أن تتخيلوا كيف أصبحت حال المعلم الطيب كرزة..

عيناه المذعورتان جابتا المكان لعلّه يرى من أين يصدر ذلك الصوت الناعم، لكنه لم ير أي شيء. نظر داخل الخزانة التي كانت مغلقة على الدوام، ولم يجد أحدًا أيضًا، وفي سلّة نشارة الخشب لا أحد كذلك. فتح باب الورشة وخرج إلى الشارع، فلم يجد أحدًا أيضًا، فمن أين جاء ذلك الصوت؟

- الآن فهمت.. (قالها وهو يبتسم ويحُكّ شعره المستعار)، من الواضح أنني تخيَّلت ذلك الصوت الناعم. فلنستأنف العمل..

أخذ البلطة من جديد، وأنزل ضربة هائلة على اللوح الخشبي..

- آي؛ لقد آلمتَني.. (قال الصوت الناعم نفسه مشتكيًا).

في هذه المرة تسمّر المعلم كرزة في مكانه، بعينين خائفتين وفم مفتوح ولسان متدلٍ حتى ذقنه. بدا كأنه واحد من تلك الأقنعة البشعة جدًّا، والمضحكة جدًّا التي يتدفق من فوهتها الماء. إلى درجة أنه فقد النطق، وعندما استطاع الكلام بدأ يتلعثم ويرتجف من الخوف ويقول:

- من أين خرج هذا الصوت الناعم الذي صرخ.. آي..؟ مع أنه لا يوجد أي كائن حي هنا! هل يعقل أن يكون هذا اللوح الخشبي قد تعلّم

البكاء والشكوى مثل الأطفال؟! لا أستطيع تصديق ذلك.. هاهو اللوح الخشبي.. إنه لوح خشبي للمدفأة مثل كل ألواح المواقد، يصلح لرميه في النار وطهي حساء اللحم والفاصولياء.. يا للقرف..هل يمكن أن يكون أحد ما مختبئ بداخله؟ ها.. إذا كان هنالك من أحد مختبئ بداخله، فسيكون الأمر سيئًا بالنسبة له، لأنني سأتدبر أمره الآن..

قال ذلك وهو يمسك اللوح الخشبي المسكين بكلتا يديه ويضربه بجدران الورشة دون شفقة.

ثم عاد بعدها للاستماع إن كان هناك صوت ناعم سيشتكي.. انتظرَ دقيقتين.. ولا شيء.. خمس دقائق.. ولا شيء.. عشر دقائق.. ولا شيء!

عندئذٍ قال:

- الآن فهمت.. (محاولًا الضحك، وهو يعدّل شعره المستعار) يبدو أن الصوت الناعم الذي صرخ «آي» كان شيئًا توهمتُه أنا، فلنستأنف العمل..!

ولما كان خائفًا جدًّا، فقد بدأ يدندن كي يشجّع نفسه.

في غضون ذلك ترك البلْطة وأمسك بفأرة النجارة لسحج وصقل اللوح الخشبي، لكنه عندما بدأ يسحج من جانب لآخر سمع الصوت الناعم نفسه يضحك ويقول:

- يا رجل.. أنت تدغدغني بشدة!

هذه المرة أُغمي على المعلم كرزة من شدة الخوف، وعندما فتح عينيه وجد نفسه مستلقيًا على الأرض. أصبح وجهه يشبه وجهَ رجل مغفّل، أمّا مقدمة أنفه فلم تعد حمراء، لأنها من شدة الخوف صارت زرقاء.

الفصل الثاني

يهدي المعلم كرزة قطعة الخشب إلى صديقه جيبيتو، الذي يقبلها ليصنع منها دمية رائعة تستطيع الرقص والرمي بالسلاح والقيام بشقلبات خطرة.

في تلك اللحظة قُرِع الباب..

- تفضلوا.. (ردَّ النجار بصوت ضعيف وخائف، لم تكن لديه قوة تمكنه من الوقوف على قدميه).

عندئذٍ دخل إلى الدكان رجل عجوز مليء بالحيوية والنشاط، يسمّى المعلم جيبيتو. أمّا فتيان الحي فكانوا يلقبونه «المعلم فيديوس»؛ أي «شعيرية» كي يغضب، وذلك بسبب شعره الأصفر المستعار الذي كان يبدو كأنه مصنوع من الشعيرية الناعمة.

جيبيتو كانت لديه عبقرية شيطانية، إضافة إلى الغضب الشديد الذي كان ينتابه حين ينادونه معلم شعيرية. فالويل لكل من كان يناديه بهذا الاسم..

- صباح الخير يا معلم أنطونيو.. (قال ذلك وهو يدخل).
- ماذا تفعل على الأرض يا سيدي؟
- كما ترى يا سيدي.. أعلّم النمل قواعد الحساب.
- إنها فكرة جيدة.

- ما الذي أتى بكم إلى هنا يا صديقي جيبيتو؟
- أقدامي! هل تدري معلم أنطونيو؛ جئت أطلب منكم معروفًا.
- حسنٌ هأنذا، جاهز لخدمتك يا سيدي. (أجاب النجار).
- خطرت على بالي فكرة هذا الصباح.
- هيّا.. لنرَ ما هي.
- فكرت في صنع دمية خشبية رائعة تستطيع الرقص والرمي بالسلاح والقيام بشقلبات خطرة. مع هذه الدمية سأكرّس نفسي لأجوب البلاد من أجل كسب لقمة خبز، و.. جرعة شراب! ها.. ما رأيك يا سيدي؟
- أحسنت يا معلم شعيرية.. هتف ذلك الصوت الناعم الذي لا يُعرَف مصدره.

عندما سمع جيبيتو أنه يُنادى بالمعلم شعيرية، تبدل لون وجهه، وأصبح مثل لون حبة الفلفل الحار، والتفت إلى النجار، وقال بغضب:

- لماذا تشتمني يا سيد؟
- من يشتمكم؟
- أنت تناديني «معلم شعيرية».
- لم أكن أنا الذي ناديتك!
- إذا كنت تظنّ يا سيدي وتفترض أنني أنا.. أقول وأكرر إنه أنت.
- إذا كنت تعتقد، وتفترض أنني أنا من قال هذه الكلمة! فأنا أقول وأكرر إنك أنت من قال ذلك.
- لا.

- نعم.

غضبا كلاهما، وانتقلا من الأقوال إلى الأفعال. ومع استيلاء الغضب عليهما تشابكا بالأيدي، شدّا شعر بعضهما بعضًا وخدشا بعضهما بعضًا، عضّا بعضهما بعضًا، وقاما بأعمال مؤسفة..

وحين انتهيا من العراك، عثر السيد أنطونيو على شعر مستعار أصفر اللون في يده، أما جيبيتو فوجد باروكة النجار الرمادية في فمه.

- أعطني شعري المستعار.. (صاح المعلم أنطونيو).
- أنت أعطني شعري، ولنتصافَ..

تبادل العجوزان الشعور المستعارة ثم تصافحا وتعاهدا أن يكونا صديقين وفيّين مدى الحياة.

وكعلامة على توطيد السلام بينهما سأل النجار العجوز:

- لنرَ ما هو المعروف الذي تريدني أن أسديه لك.
- أريد القليل من الأخشاب لأصنع تلك الدمية التي أخبرتك عنها. هل تستطيع إعطائي إيّاها يا سيدي؟

بسعادة بالغة سارع المعلم أنطونيو لالتقاط قطعة الخشب التي جعلته يمر بأوقات عصيبة، وهمّ بمناولتها لصديقه، لكنها اهتزت بقوة وهربت من بين يديه لترتطم بساقي المعلم جيبيتو النحيلتين.

- آخ! أنت تهدي الأشياء بلطف شديد يا معلم أنطونيو.. بفضلك يا سيدي سأصبح أعرج!

- لكني لم أكن الفاعل..
- ربما كنتُ أنا الفاعل إذن.. هيّا ناولني قطعة الخشب..
- لا، إذا كان هناك خطأ ما، فإنه من لوح الخشب الشيطاني هذا!
- أعلم أنه كان لوح الخشب! ولكن من هو الذي ألقى به على ساقي، إن لم تكن أنت؟
- أقول لك يا سيّد إنني لم أرم لوح الخشب على ساقك!
- كاذب..
- جيبيتو.. لا تشتمني! وإلا فسوف أناديك معلم شعيرية.
- أيها الحمار!
- معلم شعيرية!
- وأنت فرس نهر!
- شعيرية!
- قرد الأورانج أوتان!
- شعيرية!

عندما سمع نفسه يُدعى شعيرية للمرة الثالثة، فقد جيبيتو أعصابه وألقى بنفسه على النجار، ومرة أخرى بدأت بينهما سلسلة من النطحات والقرصات والخدوش.

مع نهاية العراك، وجد «المعلم أنطونيو» خدشين إضافيين على أنفه، وفقد «جيبيتو» زرين من أزرار معطفه.

هكذا صُفّي الحساب في ما بينهما. تصافحا بعدها وتعاهدا على صداقة لا يمكن تدميرها مدى الحياة.

عندئذٍ أخذ جيبيتو لوح الخشب الشهير تحت ذراعه، وشكر المعلم أنطونيو، وانطلق وهو يعرج باتجاه منزله.

الفصل الثالث

أولى الحركات المضحكة التي قامت بها الدمية

بعد أن عاد معلم جيبيتو إلى منزله مباشرة، بدأ بصنع الدمية التي أطلق عليها اسم بينوكيو..

كان منزل جيبيتو يقع في الطابق الأرضي، ويستقبل ضوء النهار من خلال فتحة موجودة في السقف، الأثاث لا يمكن أن يكون أكثر بساطة من هذا: كرسي رديء، سرير رديء، وطاولة صغيرة متهالكة.

على الجدار الخلفي، كان يمكن رؤية موقد تشتعل فيه النار؛ لكن النار كانت عبارة عن رسم، وبجانب النار كان هناك أيضًا وعاء مرسوم يغلي بسعادة، ويطلق سحابة من الدخان تشبه الدخان الحقيقي.

بمجرد دخوله لمنزله، ودون أن يضيّع لحظة واحدة، ذهب جيبيتو للبحث عن أدوات العمل من أجل نحت وصنع الدمية الخاصة به.

- ما الاسم الذي سأعطيه للدمية؟ (سأل نفسه).
- سأدعوه بينوكيو! هذا الاسم سيجلب الحظّ، لقد تعرفتُ على عائلة تدعى بينوكيو، الأب بينوكيو والأم بينوكيو وكذلك الأولاد بينوكيو، وكلهم كانوا في أفضل حال، والأكثر ثراءً بينهم كان يطلب الأموال لقاء قيامه بالخدمات.

بمجرد أن اختار اسم دميته، بدأ العمل بجد، وصنع له أولًا الشعر، ثم الجبهة ثم العينين.

يمكنكم أن تتخيلوا مدى شعوره بالإعجاب عندما أتمّ صنع العينين، ولاحظ أنهما تتحركان وتحدّقان به.

عندما رأى جيبيتو أنّ العينين المصنوعتين من الخشب تراقبانه، انتابه شعور بالضيق تقريبًا، وقال باستياء:

- عينان صغيرتان من خشب، لماذا تنظران إليّ؟

لم يجب أحد.

ثم، بعد العينين، صنع له الأنف.

ولما كان الأنف بارزًا بدأ ينمو وينمو، وتحول في بضع دقائق إلى أنف كبير لا ينتهي أبدًا.

كافح جيبيتو المسكين من أجل قصّه وتقصيره، لكنه كلما كان يزيد في تقصيره وتقليصه، كان الأنف يتغير ليصبح غير واضح المعالم.

بعد الأنف صنع له فمه. ولم يكن قد انتهى من بناء فمه، عندما بدأ الفم فجأة يضحك ويسخر منه..

- توقف عن الضحك! (قال جيبيتو بغضب، لكنه كان كمن يتحدث إلى الجدار).

- توقف عن الضحك، أكرر! (صاح بنبرة تهديد).

عندئذٍ توقف الفم عن الضحك، لكنه أخرج له لسانه بالكامل.

تظاهر جيبيتو بعدم الانتباه من أجل عدم تعطيل عمله، وواصل العمل.

بعد الفم صنع له الذقن، وبعدها الرقبة والظهر والبطن والذراعين واليدين.

أحس جيبيتو أن اليدين المصنوعتين للتو، أزالتا الشعر المستعار الذي كان يضعه على رأسه، فنظر إلى أعلى.. وما الشيء الذي رآه؟ رأى شعره المستعار الأصفر بين يدي الدمية!

- بينوكيو! أعطني الشعر المستعار الخاص بي فورًا.

لكن بينوكيو، بدلًا من إعادة الشعر المستعار لصاحبه، وضعه على رأسه هو، وغرق فيه حتى منتصفه.

نتيجة هذه التصرفات الوقحة وقلة الاحترام، أصبح جيبيتو حزينًا مكفهرًّا، كما لم يكن كذلك طوال حياته؛ والتفت إلى بينوكيو قائلًا له:

- أيها الولد الشقي، لم يكتمل صُنعك بَعدْ! وها أنت ذا تبدأ في ترك مظاهر الاحترام لوالدك! يا ولدي السيئ، السيئ جدًّا.. (ذرف دمعة من عينيه).

كان لا يزال يتعين عليه عمل نموذج الساقين والقدمين. وعندما انتهى من صنع قدميه، تلقى ركلة على أرنبة أنفه.

- هذا هو ما أستحقه! (قال لنفسه).. كان يجب أن أفكر في هذا الأمر من قبل، لكن الأوان قد فات الآن.

ثم حمل الدمية من الإبطين، ووضعها على الأرض ليُعلّمها المشي. كانت ساقا بينوكيو جامدتين، ولا يعرف كيفية تحريكهما، لهذا السبب أخذه جيبيتو من يده، وأخذ يعلّمه كيف يضع قدمًا تلو الأخرى.

عندما أصبحت الساقان مرنتين، قام بينوكيو بادئ الأمر بالسير وحده، ثم بالركض في الغرفة، إلى أن وصل إلى الباب، عندها قفز إلى الشارع وهرب بسرعة البرق.

انطلق جيبيتو المسكين خلفه دون أن يتمكن من اللحاق به؛ لأن هذا الشيطان الصغير كان يقفز مثل الأرنب، وكانت أقدامه الخشبية التي تطأ أرضية الشارع تحدث ضوضاء تعادل صوت عشرين زوجًا من قباقيب القرويين.

- أمسكوه، أمسكوه! صاح جيبيتو.

لكنّ الناس الذين كانوا يمشون في الشارع في ذلك الوقت توقّفوا حين رأوا تلك الدمية الخشبيّة تركض بأقصى سرعة. كانوا يراقبون هذه المفاجأة وهم مسرورون، وضحكوا..

لحسن الحظ، تصادف مرور حارس النظام العام من هناك، وعندما سمع تلك الجلبة اعتقد أنّ أحد الصنّاع المشاغبين قد تطاول على معلّمه. وبمنتهى الشجاعة وقف في منتصف الشارع وساقاه متباعدتان، مصممًا على اعتراضه ومنع حدوث المزيد من المشاكل.

عندما رأى بينوكيو من مسافة بعيدة تلك العقبة التي تعترض مسيرته المذهلة، حاول أن يفاجئ الحارس بالمرور من بين ساقيه، لكنه شعر بخيبة أمل.

لم يكن الحارس مضطرًا للتحرك. فقد كان أنف بينوكيو طويلًا جدًّا، إلى درجة أنه وصل وحده إلى يدي الحارس!

أمسك الحارس الدمية، وسلّمها إلى جيبيتو الذي أراد أن ينكز بينوكيو، ويشد أذنيه، لكن تخيلوا كيف سيكون موقفه عندما يبحث عن أذنيه، ويرى أنه لا يستطيع العثور عليهما.

هل تعرفون لماذا؟ لأنه من شدة حرصه على إنهاء صنع الدمية، نسي صنع أذنين لها.

لذلك جذبه من رقبته، وخلال إمساكه بهذه الطريقة، قال وهو ينظر إليه بغضب:

- دعنا نذهب إلى المنزل! وهناك سأواصل حسابي معك.

عند سماع تلك الكلمات، ألقى بينوكيو نفسه على الأرض ورفض الاستمرار في المشي.

في هذه الأثناء كانت مجموعة من الفضوليين والسذج يتحلقون حولهما، فقال كل واحد منهم شيئًا:

- دمية مسكينة! (قال بعضهم). إنها محقة في عدم الرغبة في الذهاب معه إلى المنزل؛ من يدري ما الذي سيفعله هذا الهمجي جيبيتو بها!

تمتم آخرون بنوايا سيئة:

- جيبيتو يحاول أن يبدو وكأنه رجل طيب؛ لكنه في الواقع قاسٍ جدًّا على الأولاد. لو تركوا تلك الدمية المسكينة بين يديه، فسيقطعها إربًا إربًا.

باختصار، كثيرون على حد سواء قالوا وتمتموا، ما جعل الحارس، يفرج عن الدمية، ويأخذ جيبيتو إلى السجن.

ولأن جيبيتو لم يكن يدري ما يقول للدفاع عن نفسه، بكى مثل عجل؛ وصار يتعثر ويتمتم وهو في طريقه إلى السجن:

- ولدٌ جاحد! كان يتوجّب عليّ التفكير في ذلك مسبقًا؛ لأن صنعه كلفني الكثير من الجهد! لأجعله على أحسن ما يرام!

ما حدث بعد هذه الحالة الغريبة، من الصعب تصديقه، وسأخبركم به في الفصل التالي.

الفصل الرابع

عن الذي حدث لبينوكيو مع الجدجد المتكلم،
إذ نجد أن الأطفال السيئين لا يقبلون الاقتداء
بأولئك الذين يعرفون أكثر منهم.

حسنٌ يا سادة؛ ما حدث أنه بينما كان جيبيتو المسكين يُقتاد إلى السجن دون أن يرتكب أي ذنب، هرب بينوكيو (الدمية) الذي تحرر من قبضة الحارس عبر الحقول. كان يجري مثل سيارة، وبحماس المنافس في سباق، قفز من فوق الشجيرات العالية، الأسيّجة، الأحجار والحفر المملوءة بالماء، تمامًا مثل الأرنب الذي تطارده الكلاب السلوقية.

عندما وصل إلى المنزل وجد الباب مغلقًا، ففتحه ودخل الغرفة. وبعد أن أغلق الباب بالترباس جلس على الأرض، وتنفس الصعداء من شدة الرضا. لكن هذا الرضا لم يدم طويلًا، لأنه سمع صوت أحدهم داخل الغرفة يقول:

- كري، كري، كري.
- من يناديني؟ (صرخ بينوكيو والخوف يملؤه).
- أنا.

أدار بينوكيو رأسه، ليجد أنّ من ناداه كان جدجدًا[1] يتسلّق الجدار شيئًا فشيئًا.

- أخبرني أيها الجدجد: من تكون؟
- أنا الجدجد المتكلم، أعيش في هذه الغرفة منذ أكثر من مئة عام.
- حسنٌ.. (أجابت الدمية)، لكنّ هذه الغرفة تخصني اليوم؛ وإذا أردت أن تصنع معروفًا معي، فارحل بأقرب فرصة دون أن تلتفت.
- لن أرحل دون أن أخبرك عن حقيقة مهمة.
- حسنٌ قلها، وأنجز بسرعة.
- ويلٌ للأطفال الذين يتمردون على آبائهم، ويهجرون منازل الآباء لمجرد نزوة. لن يحدث لهم أي شيء جيد في هذه الحياة، وسوف ينتهي الأمر بهم عاجلًا أو آجلًا إلى توبة مريرة.
- كما تريد يا سيد جدجد، لكني أعلم أنه غدًا عند شروق الشمس، سأرحل من هنا، لأنني لو بقيت، فسيحصل لي ما يحصل لكل الصغار، سيأخذونني إلى المدرسة، وسيتوجب عليّ أن أدرس، سواء أقبلت أم رفضت ذلك.

وأنا أقول لك بصدق إني لا أحب الدراسة، والذي أفضّله هو الاستمتاع بصيد الفراشات وتسلّق الأشجار من أجل التقاط أعشاش العصافير.

(1) جدجد أو صرّار الليل: جنس من الحيوانات يتبع لفصيلة الجداجد، تسمح له أرجله الخلفية أن يقفز مسافات تبلغ أضعاف حجمه. ينشط الجدجد ليلًا.

- أيها الأحمق المسكين! ألا تفهم أنك بهذه الطريقة ستصبح حمارًا عندما تكبر، وسيسخر منك الجميع؟
- اصمت، أيها الجدجد ذو الفأل السيئ (صاح بينوكيو).

لكن الجدجد، الذي كان صبورًا وحكيمًا، لم ينزعج لسماع هذه الوقاحة، واستمر يتحدث بالنبرة نفسها:

- إذا كنتَ لا تحب الذهاب إلى المدرسة، فلماذا لا تتعلم صنعةً واحدةً على الأقل كي تساعدك على كسب لقمة الخبز بشرف؟
- هل تريد مني أن أخبرك؟ (أجاب بينوكيو الذي بدأ بالفعل يفقد صبره).. من بين كل مهن الدنيا لايوجد سوى مهنة واحدة فقط هي التي تعجبني..
- وما هي هذه المهنة؟
- مهنة الأكل والشرب والنوم والمرح، وجعل الحياة تمضي هكذا من الصباح إلى المساء.
- أحذّرك! إن كل الذين يمتهنون تلك المهنة تقريبًا ينتهون دائمًا إلى المستشفى أو السجن.. (أجاب الجدجد المتكلم بهدوئه المعتاد).
- انظر أيها الجدجد ذو الفأل السيئ، إذا نفد صبري، فسيكون ذلك سيئًا بالنسبة لك.
- بينوكيو، بينوكيو، أنت تجعلني أشفق على حالك!
- لماذا أجعلك تشفق على حالي؟

- لأنك مجرد دمية، والأسوأ من ذلك هو أن لديك رأسا من خشب!

عند سماع هذه الكلمات، قفز بينوكيو من على الأرض وهو في غاية الغضب، وأمسك مطرقة خشبية كانت موجودة على الدف، وألقاها على الجدجد المتكلم.. ربّما لم يتوقّع الجدجد أنّه سيرميه بها؛ لكن للأسف، بينوكيو قذفها على رأسه، والجدجد المسكين الذي بالكاد استطاع قول: «كري كري»، انسحق على الجدار.

الفصل الخامس

بحث بينوكيو الجائع فوجد بيضة وفكّر في تحضيرها، لكن عندما فكَّر قليلًا وجد أنها طارت وخرجت من النافذة!

في الوقت الذي بدأ يحل فيه الظلام، تذّكر بينوكيو أنه لم يأكل شيئًا، وبدأ يشعر بوخز في معدته يشبه إلى حد كبير اشتهاء الطعام، لكن اشتهاء الطعام عند الأولاد سريع المفعول.

بعد بضع دقائق تحولت رغبة بينوكيو في الأكل إلى جوع، لقد أصبح بينوكيو جائعًا، وفي غمضة عين أصبح كالكلب المسعور.

اقترب بينوكيو المسكين من النار حيث يوجد ذاك الوعاء الذي يغلي، أراد الكشف عن غطائه ليرى ما بداخله.

لكنكم تذكرون أنه كان مرسومًا على الجدار.

والآن تخيلوا كيف صار وجهه! نما أنفه الذي كان طويلًا بما يكفي، نما بمقدار الربع على الأقل.

عندئذٍ بدأ يتجول في الغرفة ويفتش في جميع الأدراج وجميع الزوايا عن قليل من الخبز حتى لو كان جافًا؛ ربما عن عظمة تُركت للكلاب، عن قطعة من السمك؛ باختصار عن أي شيء، يمكن وضعه في الفم، لكنه لم يجد شيئًا، لا شيء، لا شيء على الإطلاق!

في هذه الأثناء زاد الجوع وزاد. لم يكن لدى بينوكيو المسكين ما يواسيه أو يخفف عنه سوى التثاؤب.

أضحت تثاؤباته كبيرة جدًّا لدرجة أنه أصبح في كثير من الأحيان يفتح فمه حتى أذنيه، لكن على الرغم من التثاؤب، استمرت معدته بالانقباض.

لذلك بدأ يبكي من اليأس وهو يقول:

- لقد كان الجدجد المتكلم على حق! يا لذلك التصرف السيئ الذي قمت به بالتمرد على والدي وهروبي من البيت! إنّ الله يعاقبني، لو كان أبي هنا لَمَا تعرضت للموت من كثرة التثاؤب!

آه من الجوع، يا له من مرض سيئ!

فجأة خُيّل إليه أنه رأى شيئًا أبيض اللون بيضاوي الشكل على كومة نشارة الخشب، يشبه بيضة دجاجة، فقفز على الفور وأخذه؛ لقد كانت بيضة حقيقية.

لا يمكن وصف فرحة الدمية؛ ولأنّ بينوكيو كان خائفًا من أن يكون ما يراه مجرد حلم؛ راح يداعب البيضة، ويدور حولها وهو ينظر إليها من كافة الاتجاهات، ثم قبّلها قائلًا:

- والآن كيف يمكنني طهيك؟ هل أخفقك؟ لا! ربما من الأفضل أن أسلقك! ألستِ ألذَّ لو كنتِ مقلية على طريقة العيون؟

لا، أفضل شيء يمكنني فعله هو طهيك في قدر! هذا هو الأسرع، فلا يمكن الانتظار طويلا مع الجوع الذي أشعر به.

قال وفعل؛ وضع القدر على موقد صغير فيه بعض الجمر؛ وصبّ فيه قليلًا من الماء بدلًا من الزيت أو الزبدة، وعندما بدأ الماء بالغليان، تاك! كسر قشرة البيضة لرميها في القدر، ولكن بدلًا من بياض وصفار البيضة، خرج له منها فرخٌ مرح يحبّ المجاملة، وقال بعد أن انحنى له باحترام:

- شكرًا جزيلًا يا سيّد بينوكيو لأنك أرحتني من عناء كسر قشرة البيضة، سأذهب الآن، أراك لاحقًا، سررت لرؤيتك بحالة جيدة، تحياتي للعائلة!

بعد أن قال ذلك، مدّ جناحيه الصغيرين، وطار خارجًا من النافذة إلى أن اختفى عن ناظريه.

أصيب بينوكيو المسكين بالذهول، كانت عيناه شاخصتين، وفمه مفتوحًا، وقشرة البيضة لا تزال بيده. وعندما أفاق من دهشته بدأ يبكي، ويصرخ ويركل الأرض بيأس، قائلًا:

- لقد كان الجدجد المتكلم على حق! لو أنني لم أهرب من المنزل، ولو كان أبي موجودًا هنا لما متُّ من الجوع.

لـمّا صارت معدته تصرخ عليه أكثر، ولم يكن يدري كيف يسكتها، خطرَ على باله مغادرة المنزل وبدء التجوال، على أمل العثور على شخص طيب يمكن أن يعطيه كسرة خبز.

الفصل السادس

ينام بينوكيو بجانب الموقد، وعندما يستيقظ في صباح اليوم التالي يجد قدميه متفحمتين.

كانت ليلة جهنميّة: أرعدت بشكل فظيع، ووميض البرق، فبدت السماء كما لو أنها مشتعلة بالكامل؛ كانت الريح عاتية وباردة والأعاصير تصفُر دون هوادة، وتهزُّ جميع الأشجار مثيرة سحبًا من الغبار في البلدة.

بينوكيو كان يخاف كثيرًا من البرق والرعد، لكن الجوع كان أقوى من هذا الخوف. لذلك خرج دون تردد من باب المنزل، وبنفسٍ واحد، سلك طريقًا أوصله بمئة قفزة إلى المنازل المجاورة، حيث بدا لسانه متدليًا خارج فمه مثل كلب صيد.

لكنّه وسط الظلام الدامس وجد أنّ كل شيء كان مهجورًا، كانت جميع المحال مغلقة، والأبواب أيضا والنوافذ، حتى الكلاب لم تكن تمشي في الشوارع. بدت البلدة كأنها أرض للموتى.

عندئذ تعلق بينوكيو اليائس والجائع بجرس أحد المنازل، وبدأ يقرعه بشدة قائلًا لنفسه:

- لا بد أن يظهر شخص ما!

في الواقع، ظهر رجل عجوز كان يغطي رأسه بطاقية نوم، وصرخ بغضب شديد:

- من يقرع الباب في هذا الوقت؟

- أتريد يا سيدي أن تصنع معروفًا معي بإعطائي قطعة خبز؟

أجاب الرجل العجوز: «انتظر مكانك، سأعود بسرعة».. معتقدًا أنه أحد أولئك الفتية المشاغبين الذين يستمتعون بقرع الأبواب في أوقات غير مناسبة؛ كي لا يتركوا الناس الذين ينامون بهدوء ينعمون بالسلام.

بعد نصف دقيقة، فُتحت النافذة مرة أخرى، وأطل العجوز نفسه، فقال لبينوكيو:

- اقترب والبس الطاقية!

لم يتمكّن بينوكيو من وضع الطاقية لأنّه لا يملك أيّ طاقية.. اقترب من الجدار، وشعر في تلك اللحظة أنّ دلوًا كبيرًا من الماء سقط عليه، فابتلّ من رأسه إلى أخمص قدميه.

عاد إلى المنزل مبللًا كدجاجة، ومكتئبًا بسبب التعب والجوع، ولأنه لم يكن يقوى على الوقوف. جلس وأسند قدميه الرطبتين المليئتين بالطين إلى الموقد، الذي كان –بالمناسبة– يشتعل بشكل جيد.

أثناء نومه، وبدون أن ينتبه، وضع كلتا قدميه في النار، وبما أنهما كانتا مصنوعتين من خشب، بدأتا بالاحتراق حتى تحولتا إلى رماد.

في هذه الأثناء كان بينوكيو لا يزال نائمًا يشخر كما لو أن القدمين لا تخصانه، لكنّه استيقظ أخيرًا لأنّ النهار قد طلع، ولأنّه سمع طرقًا على الباب.

- من الطارق؟ (سأل، وهو يتثاءب ويفرك عينيه).
- إنه أنا! (أجاب الصوت، كان هذا صوت جيبيتو).

الفصل السابع

يعود الرجل الطيب جيبيتو إلى منزله، ويعطي الدمية وجبة الإفطار التي كان يحتفظ بها لنفسه.

لم يلاحظ بينوكيو المسكين، الذي كانت عيناه لا تزالان متورمتين من النوم، أن قدميه متفحمتان، بالكاد سمع صوت والده، لذلك أراد أن يقف بسرعة من أجل إزاحة الترباس من على الباب، لكنه عندما وقف على قدميه ترنّح مرتين أو ثلاثًا إلى أن سقط جسده من طوله على الأرض محدثًا ضجة هائلة.

- افتح لي.. (أتى صراخ من الشارع في الوقت نفسه).
- لا أستطيع، يا أبي، لا أستطيع! (أجاب الدمية بينوكيو وهو يبكي ويتدحرج على الأرض).
- لماذا لا تستطيع؟
- لأنهم قد أكلوا أقدامي!
- من الذي أكلها؟
- القط! (قال بينوكيو ذلك، وهو يرى أنّ الحيوان كان يستمتع باللعب بقطعة خشب).

- أقول لك افتح.. (كرر جيبيتو)، وإذا لم تفتح، فسترى عندما أدخل إلى البيت كيف سأحاسبك على خداعك المتعمّد لي.
- لا أستطيع الوقوف! صدقني يا أبي، أنا مسكين! سأمضي بقية عمري وأنا أمشي على رُكبي.

قرر جيبيتو الانتهاء من هذا الأمر في الحال، معتقدًا أن هذ النواح ليس سوى لعبة من ألاعيب الدمية، لذلك تسلق الجدار ودخل إلى المنزل من خلال النافذة.

في البداية كان يريد أن يفعل ويعمل؛ لكنه عندما رأى دميته بينوكيو ملقى على الأرض وفاقدًا قدميه بحق، تعاطف معه ورفعه من عنقه، وبدأ بمداعبته وتقبيله.

- دميتي بينوكيو! (قال وهو ينتحب).. كيف حرقتَ قدميك؟
- لا أعرف يا أبي، لكن صدقني أن هذه الليلة كانت مثل الجحيم، سأتذكرها طوال حياتي! لقد أرعدت وأبرقت وكنت جائعًا جدًّا. بعد ذلك قال لي الجدجد المتكلم: لقد كُنتَ سيئًا وتستحق ذلك. فقلت له: كن حذرًا، أيها الجدجد! فأجابني: أنت مجرد دمية، ولديك رأس خشبي، لذلك رميت المطرقة عليه وقتلته، لكن كان هو المخطئ، والدليل هو أنني وجدت بيضة ووضعت القدر على النار لطهيها؛ لكن الفرخ قال لي: سررت لرؤيتك بحالة جيدة، تحياتي للعائلة. وكنت

أجوع أكثر فأكثر، وهذا هو السبب في أن ذلك الرجل العجوز ذا طاقية النوم الذي أطلّ من النافذة، قال لي: تعال والبس الطاقية!

عندئذ وجدت دلوًا من الماء يُصَبُّ فوق رأسي لأني طلبت بعض الخبز، وهذا في الحقيقة ليس عيبًا!

عدت إلى المنزل على الفور، وبما أنني كنت لا أزال جائعًا جدًّا، وضعت قدمي على الموقد، وعندما حضرتك عُدت، وجدتها محترقة.

أنا ما زلت جائعًا كما كنت في السابق؛ لكن لم يعد لدي أرجل! إهي! إهي! إهي!

وبدأ بينوكيو المسكين بالبكاء والنحيب بشدّة لدرجة أنه كان يمكن سماعه من على بعد دائرة قطرها خمسة كيلومترات.

من كلّ هذا الكلام الفوضوي غير المترابط، فهم جيبيتو شيئًا واحدًا فقط: أن بينوكيو كان يتضور جوعًا. فأخرج من جيبه ثلاث إجاصات، وأشار إليهن وهو يقول لبينوكيو:

- وجبة إفطاري عبارة عن هذه الإجاصات الثلاث، لكني أهديها لك، تناولها، واستفد منها.
- حسنٌ، إذا كنت تريد مني أن آكلها، فعليك تقشيرها.
- تقشيرها؟ (أجاب جيبيتو مندهشًا).. لم يخطر ببالي أبدًا، أيها الفتى، أن يكون ذوقك في غاية الحساسية! هذا سيئ، سيئ، سيئ للغاية! في

هذه الحياة يجب الاعتياد على أكل كل شيء يا بني، لأنك لا تعرف ما الذي سيحدث، الدنيا دوّارة باستمرار!

- قل ما تريده يا سيدي.. (تذمر بينوكيو). لكنني لن أكل أبدًا فاكهة غير مقشرة. فأنا لا أستطيع تحمّل القشور.

تسلّح جبيتو الطيب بالصبر المقدّس، وأخذ سكينًا، وقشّر الإجاصات الثلاث ثم وضع القشور في أحد أركان الطاولة.

بعد أن أكل الإجاصة الأولى بلقمتين، ذهب بينوكيو لإلقاء لُب الفاكهة من النافذة، لكن جيبيتو رفع ذراعه قائلا:

- لا تتخلص منها! كل شيء يمكن أن ينفع في هذه الدنيا.
- ولكنني لن آكل اللب أيضًا.. (ردت الدمية بطريقة سيئة للغاية).
- من يدري! الدنيا دوّارة باستمرار! (كرر جيبتو ذلك بهدوئه المعتاد).

يجدر القول إنّه بعد أن أكل بينوكيو الإجاصات الثلاث ذهب اللُّبّ إلى جوار القشور عند زاوية الطاولة.

عندما انتهى بينوكيو من الأكل، أو بالأحرى من التهام الإجاصات الثلاث، أطلق تثاؤبًا مطولًا وقال بصوت باكٍ:

- أنا جائع!
- حسنٌ، يا بني، ليس لدي شيء آخر أقدمه لك.
- لا شيء.. لا شيء على الإطلاق؟
- لدينا هنا هذه القشور ولبّ الإجاصات.

- صبر جميل! (قال بينوكيو).. إذا لم يكن هناك شيء آخر، فسوف آكل قشرة واحدة.

في البداية أومأ برأسه، ولوى فمه، لكنّه بعد ذلك، أكل كل القشور بلحظة، الواحدة تلو الأخرى، ثم بدأ باللب أيضًا، إلى أن انتهى منها جميعًا.

عندها مرر يديه على معدته وقال بارتياح:

- الآن نعم أشعر أنني بحالة جيدة.
- أنت ترى الآن أنّي كنت محقًّا عندما قلت لك إنّه ليس عليك أن تعتاد على أن يكون ذوقك في غاية الحساسيّة..

ثمّ تابع:

- لا يُعرف أبدًا يا عزيزي ما الذي يمكن أن يحدث في هذه الدنيا التي فيها الكثير من المنعطفات!

الفصل الثامن

قام جيبيتو بإصلاح أقدام بينوكيو، وبيع معطفه الصوفي ليشتري له كتابًا لتعليم القراءة.

حالما شعرت الدمية بالرضا بدأت بالبكاء والندب ثانية لأنّها كانت تريد أن يُصنع لها زوج جديد من الأقدام. ولمعاقبتها على مزحاتها، سمح لها جيبيتو بالبكاء واليأس حتى وقت الظهر. ثم قال لها:

- ولماذا تريد مني أن أصنع لك أقدامًا أخرى؟ ألكي تهرب ثانية من المنزل؟
- أعدك يا سيدي.. (قال بينوكيو وهو ينتحب).. سأكون طيبًا اعتبارًا من اليوم!
- كل الأطفال يقولون الكلام نفسه عندما يريدون الحصول على شيء ما.. (أجاب جيبيتو).
- أعدك أن أذهب إلى المدرسة، وأن أدرس بجد وأن أصبح شخصًا مفيدًا!
- يكرر جميع الأطفال النغمة نفسها عندما يرغبون في الحصول على شيء ما.

- لكنني لست مثل باقي الأطفال! أنا أفضل من الجميع وأقول الحقيقة دائمًا! أعدك يا أبي أن أتعلم حرفة، لأكون لك العون والسند في شيخوختك.

رغم أنّ جيبيتو كان يبذل مجهودًا للظهور بمظهرٍ عنيف، لكنّ عينيه فاضتا بالدموع، واعتُصر قلبه من الألم لرؤية بينوكيو المسكين على تلك الحالة المؤسفة. وبدون أن يتفوه ببنت شفة، أخذ أدواته وقطعتين من الخشب وبدأ العمل بحماس كبير.

في أقل من ساعة صنع القدمين، زوجًا من الأرجل النحيلة الناعمة والعصبية، كما لو أنّ فنّانًا عبقريًّا قام بتصميمهما.

ثم قال للدمية:

- أغمض عينيك ونم.

أغلق بينوكيو عينيه وتظاهر بالنوم. وبينما هو كذلك، وضع جيبيتو القدمين في مكانهما مع قليل من الغراء الذي خلطه بقشرة بيضة؛ وضعهما بشكل مثالي، لدرجة عدم ملاحظة أي وصلة فيهما.

بمجرّد أن وجد بينوكيو أنّ لديه قدمين جديدتين ألقى بنفسه من على الطاولة التي كان يرقد عليها وبدأ بالقفز فرحًا كالمجنون.

- من هذه اللحظة أريد الذهاب إلى المدرسة، لكي أرد لك ما فعلته من أجلي.. (قال بينوكيو لأبيه).
- هذا حسنٌ جدًّا ياولدي!
- للذهاب إلى المدرسة، أحتاج فقط إلى بزّة.

جيبيتو الذي كان فقيرًا ولا يملك شيئًا، صنع له بزّة من الورق التالف، وزوجًا من الأحذية صممه من لحاء الشجر، وقبعةً صغيرة من فتات الخبز.

ركض بينوكيو على الفور لرؤية نفسه من خلال حوض مليء بالماء. كان فرحًا جدًا، وقال وهو يتبختر:

- أبدو تمامًا مثل رجل نبيل.
- هذا صحيح.. (قال جيبيتو)، لكن ضع في اعتبارك أن السادة الحقيقيين يُعرفون بالبزّات النظيفة أكثر من الزي الجميل.
- بالمناسبة.. (قاطعه بينوكيو)، كي أستطيع الذهاب إلى المدرسة لا يزال هناك شيء ينقصني؛ أحتاج إلى أكثر الأشياء ضرورة!
- ما هو؟
- ينقصني كتاب تعليم القراءة!
- أنت على حق. لكن من أين نحصل عليه؟
- حسنٌ، ببساطة: تذهب يا سيدي إلى محل بيع الكتب وتشتريه!
- والنقود؟
- أنا لا أملكها.

قال الرجل العجوز الطيب بحزن: «ولا أنا أيضًا».

ورغم أن بينوكيو كان سعيدًا للغاية، إلا أنه أصبح حزينًا أيضًا لأنّ البؤس عندما يكون عظيمًا وحقيقيًّا يفهمه الأطفال أنفسهم ويشعرون به.

- صبر جميل!

قال جيبيتو بعد فترة من الوقت، ثمّ وقف وحمل معطفه الصوفي القديم والمرقع، وخرج مسرعًا من البيت، وسرعان ما عاد لابنه حاملًا معه كتاب تعليم القراءة، لكن بدون معطف. بل جاء مرتديًا قميصًا رقيقًا رغم أن الثلج كان يتساقط.

- ماذا عن معطفك يا أبي؟
- لقد بعته!
- لماذا؟
- لأنه كان يشعرني بالسخونة!

فهم بينوكيو ما حدث، فتحمّس وعانق رقبة جيبيتو وعيناه تفيضان بالدموع، وبدأ بإغراقه بفيض من القبلات.

الفصل التاسع

بينوكيو يبيع كتاب تعليم القراءة لرؤية عرض في مسرح العرائس.

عندما توقف نزول الثلج سلك بينوكيو الطريق إلى المدرسة، حاملًا تحت ذراعه كتاب تعليم القراءة الجديد والضخم. على طول الطريق راح ينفّذ مشاريع وقلاعًا خيالية في الهواء.. كانت أكثر من رائعة.

قال لنفسه:

- اليوم بالضبط أريد أن أتعلم القراءة؛ وغدًا الكتابة، وبعد غدٍ الحساب. وبمجرد أن أعرف كل هذا، سأربح الكثير من المال، ومع أول مبلغ أحصل عليه، سأشتري لوالدي معطفًا جيدًا من القماش.

كيف أقول من القماش؟ لا.. يجب أن يكون معطفًا مطرزًا بالذهب والفضة بالكامل، وله أزرار لـمّاعة.. المسكين يستحقه كثيرًا، إنه طيب جدًّا؛ طيب لأنه باع المعطف الوحيد الذي يملكه كي يشتري لي هذا الكتاب كي أتعلم القراءة، وبقي بالقميص في هذا البرد، الحقيقة هي أن الآباء وحدهم قادرون على عمل مثل هذه التضحيات!

بينما كان يتحدث إلى نفسه، صار يسمع من بعيد صوت موسيقى الناي والطبل: بي بي بي، بي بي بي، بم بم بم بم، بم بم بم بم!

توقف واستمع. تلك الأصوات كانت تأتي من مفترق طريق طويل يؤدي إلى ممشى شاطئ البحر.

- ما هذه الموسيقى؟ من المؤسف وجوب الذهاب إلى المدرسة، لأنني إن لم أفعل ذلك..

بقي مترددًا للحظة، دون أن يعرف ماذا يفعل؛ ولكن لم يكن أمامه خَيار سوى اتخاذ قرار: الذهاب إلى المدرسة، أو الذهاب إلى الموسيقى.

أخيرًا قرر، رفع كتفيه وقال:

- هيّا.. اليوم سنذهب إلى الموسيقى وغدًا إلى المدرسة، الأمر سيّان، هناك دائمًا متسع من الوقت للذهاب إلى المدرسة.

ثم بدأ بالركض سالكًا مفترق الطريق.

أثناء تقدمه ركضًا، كان يشعر باقتراب صوت الطبل والناي: بي بي بي، بي بي بي، بم بم بم بم، بم بم بم بم!

فجأة، انتهى به المطاف في ساحة تعجّ بالناس التي تحوم حول مبنى خشبي كبير مغطى بقماش ذي ألوان مبهرجة.

- أي مكان هذا؟ سأل بينوكيو صبيا رآه بجانبه.
- اقرأ الملصق.
- أود أن أقرأه بكل سرور، لكن الوضع هو أنني اليوم بالضبط لا أزال غير قادر على ذلك.
- سوف أقرؤه لك؛ هل ترى تلك الأحرف الكبيرة الحمراء؟ إذن انظر، إنها تقول: «مسرح العرائس الكبير».

- هل بدأ العرض منذ فترة طويلة؟
- سوف يبدأ الآن.
- كم يكلّف الدخول؟
- يكلف عشرين سنتًا.

بينوكيو الذي هيمن عليه الفضول، قال بوقاحة لطفل آخر:

- هل تريد إقراضي عشرين سنتًا حتى يوم غد؟
- بكل سرور أود أن أقرضهم لك؛ ولكن الوضع هو أنني اليوم بالضبط لا أستطيع.. (أجاب الآخر بسخرية مقلدًا بينوكيو).
- عندئذ قال بينوكيو: أبيع لك سترتي بعشرين سنتًا.
- وماذا تريد مني أن أفعل بهذه السترة الورقية المصبوغة؟ لن يكون عليك خلعها إذا هطل المطر عليك، لأنها ستسقط وحدها.
- هل تريد شراء حذائي؟
- إنه يصلح فقط لإشعال النار.
- كم تعطيني ثمن القبعة؟
- يا لها من تجارة! قبعة من فتات الخبز! ستأكلها الجرذان وهي على رأسي!

حزن بينوكيو كثيرًا. فكر في تقديم اقتراح أخير؛ لكنه كان يفتقر إلى الجرأة، كان غير متأكد، لكنه أراد أن يحاول، تردد مرة أخرى. وأخيرا قرر وقال:

- هل تريد أن تعطيني عشرين سنتا مقابل هذا الكتاب الجديد؟

- أنا طفل ولا أشتري أي شيء من الأطفال الآخرين.. (أجاب الآخر، الذي كان له عقل راجح أكثر من بينوكيو).
- أنا أشتري الكتاب بعشرين سنتًا! (قال بائع الأغراض المستعملة الذي كان يستمع إلى ذلك الحوار).

وبهذه الطريقة بيع الكتاب، بينما كان جيبيتو المسكين يرتجف من البرد بدون معطفه الوحيد، الذي باعه لشراء الكتاب لابنه.

الفصل العاشر

تتعرف دمى المسرح على شقيقها بينوكيو وتستقبله بمظاهر كبيرة من الفرح؛ ولكن في أفضل جزء من العرض، يظهر صاحب الدمى «آكل النار»، ويصبح بينوكيو في خطر الانتهاء من مغامراته بطريقة سيئة.

عندما دخل بينوكيو إلى مسرح الدمى، حدث شيء ما، أنتج ثورة تقريبًا.

بدأنا بالقول إن الستار قد أزيح وبدأ العرض، كان في المشهد كل من بوليتشينيلا[1] وهارلكين[2]، يتنازعان بحرارة، بحسب ما هو متعارف عليه. وكانا بين الفينة والأخرى يتبادلان اللطمات والشتائم.

تابع الحضور هذا المشهد باهتمام كبير، وانفجروا ضاحكين عندما رأوا هاتين الدميتين تقلدان بعضهما وتتبادلان الإهانات بحرفيّة عالية، فظهرا كأنهما كائنان عاقلان حقًّا، وشخصان من لحم ودم.

---

(1) المهرج، شخصية من كوميديا الفن الإيطالي القديم، ترتدي قناعًا أسودًا وبدلة من الصور أو المربعات المتعدّدة الألوان.

(2) شخصية هزلية من فن الكوميديا الإيطالية والمسرح الغامض، لها أنف كبير ومقوس، وسنام أمامي وخلفي، وترتدي بدلة مليئة بالأزرار وقبعة ذات وجهين يقعان على جانبي الرأس.

لكن فجأة يستدير هارلكين أمام الجمهور ويقرأ دوره، ويشير بيده إلى الجزء الخلفي من الصالة ويبدأ بالصراخ وبعمل إيماءات كثيرة بنبرة مثيرة:

- آهٍ! آهٍ! أيتها السماء! ماذا أرى؟ هل هي مجرد أوهام بسبب سخونة رأسي أم أنه هوس من خيال مجنون؟ نعم إنه هو! إنه هو! إنه بينوكيو!
- إنه هو! إنه هو! (صاح بوليتشينيلا)..
- إنه هو، لا شك في ذلك.. (صرخت كولومبينا وهي تطل برأسها من وراء الكواليس).
- إنه بينوكيو! إنه بينوكيو! (الدمى الأخرى المشاركة صرخت خارجة إلى خشبة المسرح في جوقة) إنه أخونا بينوكيو! يعيش بينوكيو! يعيش!
- بينوكيو تعال إلى هنا.. (صاح هارلكين)، تعال إلى أحضان إخوتك الدمى الخشبية.

عند سماع هذه الدعوة الكريمة، لم يستطع بينوكيو تمالك نفسه، وفي ثلاث قفزات عَبرَ من المدخل العام إلى الصف الأول من المقاعد، ومن المقاعد إلى رأس مدير الفرقة الموسيقية، ومن رأس مدير الفرقة الموسيقية إلى خشبة المسرح.

وكم من العناق، وكم من القبلات، وكم من الأحضان، من الربتات على الأكتاف! وحتى من قرصات الصداقة، من المودة، من الفرح!

من المستحيل تصوّر الضجة الكبيرة والجنون الذي رافق دخول بينوكيو كالفاتحين، إلى تلك المجموعة الخشبية من الممثلين.

وغنيٌ عن القول أن العرض كان مؤثرًا؛ لكن الجمهور عند المدخل العام حين رأى أن الكوميديا لم تتواصل، فقد صبره وبدأ يصرخ:

- نريد كوميديا! لتتواصل الكوميديا!

كل شيء كان بلا فائدة؛ لأن الدمى بدلًا من الاستمرار في لعب أدوارها الكوميدية، ضاعفت من صياحها، وحملت بينوكيو على أكتافها، وبدأت تطوف به كالمنتصرين أمام الأضواء..

عندئذٍ خرج صاحب المسرح، وهو رجل هائل، وبشع لدرجة أن رؤيته كانت مخيفة. كانت لديه لحية سوداء كثة وطويلة تصل إلى الأرض، يكاد يخطو عليها أثناء المشي! كان فمه كبيرًا مثل فرن، وكانت عيناه تشبهان فوانيس حمراء مضاءة. وكان يضع على يديه شارات مصنوعة من جلود الثعابين وذيل الثعالب.

نتيجة لذلك الظهور غير المتوقّع صمتت جميع الدمى..

أثناء ذلك سُمع صوت طيران ذبابة. وارتعشت الدمى المسكينة من الخوف.

- لماذا أتيت لإثارة هذه الضجة في مسرحيتي؟ (ذلك العملاق سأل بينوكيو بصوت مرعب)..
- صدّق يا سيدي، إنه لم يكن خطأي.
- يكفي الآن! سنسوّي حساباتنا لاحقًا.. (قالها المالك، ووضع بينوكيو خلف الكواليس وعلقه على مسمار).

بعد العرض، ذهب صاحب المسرح إلى المطبخ حيث كان يستعد لتناول العشاء؛ المؤلَف من حَمَلٍ مشكوكٍ بسيخ وموضوع على شوّاية، كان يدور ببطء على النار، وكان ينقصه بعض الحطب لإنهاء الشواء وليكتسب لونًا ذهبيًّا، نادى على هارلكين وبوليتشينيلا وقال لهما:

- أحضرا لي فورًا تلك الدمية التي تركتها معلقة على مسمار، يبدو لي أنه مصنوع من خشب جافٍّ للغاية، وأنا متأكد من أنه سوف يعطي لهبًا جيدًا لإنهاء الشواء بمجرد وضعه على النار.

في البداية كان هارلكين وبوليتشينيلا متردِّدين؛ لكنهما كانا خائفين من نظرة غاضبة من مالكهما، لذلك أطاعاه.. خرجا من المطبخ، وسرعان ما عادا يحملان بين أيديهما بينوكيو المسكين، الذي كان يصرخ بيأس ويتلوى مثل ثعبان بحر أُخرج من الماء:

- أبي، أبي، أنقذني! لا أريد أن أموت! لا! لا! لا أريد! أبي، أبي..

الفصل الحادي عشر

آكل النار يعطس ويسامح بينوكيو الذي ينقذ بعد ذلك حياة صديقه هارلكين.

آكل النار (كان هذا هو اسم صاحب المسرح)، بدا للوهلة الأولى رجلًا فظيعًا، خاصة مع تلك اللحية السوداء التي كانت تغطي صدره وساقيه؛ لكن من داخله لم يكن سيئًا. والدليل على ذلك هو أنه عندما وجد أمامه بينوكيو المسكين، الذي كان يحرك ساقيه بيأس ويصرخ:

- لا أريد أن أموت! لا! لا أريد!

بدأ يتحرك من داخله ويشعر بالشفقة، في البداية أراد الحفاظ على تهديداته، لكنه في النهاية لم يستطع تمالك نفسه وعطس بصوت عالٍ.

كان هارلكين الطيب مستاءً جدًّا ومنكمشًا في الزاوية، ينظر بعيني كبش يموت، لكنه عندما سمع صوت العطاس، فرح كثيرًا واقترب من بينوكيو وقال له بصوت منخفض:

- إنها إشارة جيدة يا أخي! لقد عطس آكل النار، وهذا دليلٌ على أنه يشفق عليك وأنك قد نجوت. يجب عليك أن تعرف بأنه مثل كل الذين يبكون عندما يتأثرون، أو على الأقل يتظاهرون بأنهم يمسحون

دموعهم، لكن آكل النار لديه عادة، هي أنه عندما يتأثر بحق، يعطس. وفي النهاية، لديه نظام مثل أي نظام آخر.

بعد أن عطس حاول آكل النار استعادة جانبه الرهيب، وصاح لبينوكيو:

- يكفيك أنينًا! صرخاتك دغدغت بطني.. شيء من هذا القبيل. هيا، أشعر أنني واحدٌ، أتشووو أتشو.

أطلق عطستين قويتين.

- يرحمكم الله! (قال بينوكيو).
- شكرًا! هل أبوك وأمّك بخير؟ (سأل آكل النار).
- أبي، نعم؛ لكنني لم أقابل أمي أبدًا.
- يا له من كربٍ عظيم سيحلُّ بوالدك المسكين لو أنني رميتك في النار! رجل عجوز مسكين! إنني أشفق عليه! أتشو! أتشو! أتشو!

عطس ثلاث مرات أخرى:

- يرحمكم الله! (قال بينوكيو).
- شكرًا! على أيّ حال، أنا أيضًا أحتاج إلى من يتعاطف معي، لأنك ترى أنه ليس لديَّ ما يكفي من الحطب لإنهاء هذا الشواء، والحقيقة هي أنك كنت ستفيدني كثيرًا.

لكن ماذا سنفعل؟ أنت أثرتَ شفقتي! سنتحلّى بالصبر! سألقي واحدًا من الدمى التي أملكها في النار بدلًا عنك، يا حرّاس!

عند سماع هذا النداء، ظهر اثنان من الحراس الخشبيين على الفور، كانا نحيفين وطويلين، يضعان على رأسيهما قبعات ذات حواف صلبة ومرتفعة، ويحملان سيوفًا غير مغمدة.

عندئذٍ قال لهما آكل النار بصوت حاسم:

- اقبضوا على هارلكين، وبعد ربطه جيدًا، ارموه في النار، أريد أن يصبح كبشي محمرًّا تمامًا.

تصوروا الرعب الذي انتاب هارلكين المسكين! انثنت رجلاه من الخوف وسقط على الأرض.

عندما شاهد بينوكيو هذا المشهد المؤثر، ألقى نفسه أمام أقدام آكل النار، وملأ لحيته الطويلة بالدموع، وبدأ يتوسّل إليه ويقول:

- الرحمة، يا سيّد آكل النار!
- هنا لا يوجد سيّد! (أجاب آكل النَّار بجفاء).
- الرحمة أيها الفارس النَّبيل!
- هنا لا يوجد فرسان!
- الرحمة يا صاحب السعادة!

نجح لقب صاحب السعادة في التخفيف من التعبير الرهيب لوجه آكل النار، وبعودته فجأة ليصبح قابلًا للتعامل وأكثر إنسانية، قال لبينوكيو:

- حسنٌ، وما الذي تريده؟

- العفو عن هارلكين المسكين.
- هذا لا يمكن أن يكون، أيها الصديق الصغير. أنا عفوت عنك، لذا يجب أن أضعه مكانك في النار. لا أريد أن يكون كبشي قليل الشواء.
- أنا أعرف ما هو واجبي في هذه الحالة! (قال بينوكيو بغطرسة، وهو يلقي قبعة فتات الخبز على الأرض).. لا، هذا ليس عدلًا، لا يمكن السماح لصديقي العزيز هارلكين بالموت من أجل قضيتي، أيها السادة الحراس تحركوا! اربطوني وارموني في النار!

تلك الكلمات التي قيلت بصوت عالٍ ونبرة بطولية، جعلت كل الدمى التي رأت هذا المشهد تبكي. حتى الحارسان، بكيا مثل حَمَلين صغيرين، على الرغم من كونهما مصنوعين من الخشب.

في البداية، ظلّ آكل النار قاسيًا وباردًا مثل الرخام. لكنه شيئًا فشيئًا بدأ يتعاطف ويعطس بشدّة. وبعد إطلاق أربع أو خمس عطسات هائلة، فتح ذراعيه وقال لبينوكيو بحنان:

- أنت فتى طيب! تعال إلى ذراعي واعطني قبلة!

جاء بينوكيو راكضًا، ليتسلق لحية آكل النار مثل سنجاب، وأعطاه قبلة طويلة عالية الصوت على مقدمة أنفه.

- في هذه الحالة أنا معفيٌّ عني؟ سأل المسكين هارلكين بصوت يُسمع بالكاد.

أجاب آكل النار: أنت معفيٌّ عنك!

قال ذلك، ثم أطلق تنهيدةً عميقةً وطأطأ رأسه وهو يتمتم:

- صبر جميل! في هذه الليلة سأقبل على مضض أكل الكبش نصف استواء؛ لكن في المرة القادمة، الويل لمن أختارُه!

بمجرد أن سمعت الدمى أنه قد تم العفو عن هارلكين، ركضت إلى خشبة المسرح، وأضاءت جميع الأنوار، كما في أمسيات العرض، وبدأت القفز والرقص.

وعند طلوع الفجر، كانوا لا يزالون يرقصون.

الفصل الثاني عشر

آكل النار يهدي بينوكيو خمس قطع ذهبية ليأخذها إلى والده جيبيتو، لكن بينوكيو ينخدع بالثعلبة والقط ويذهب معهما.

في اليوم التالي، نادى آكل النار بينوكيو وسأله على انفراد:

- ما هو اسم والدك؟
- جيبيتو
- ما هي مهنته؟
- مهنة الفقير.
- هل يكسب كثيرًا؟
- ما يكفي لكي لايمتلك أبدًا بنسًا واحدًا في جيبه. تصّور يا سيدي أنه لكي يشتري لي كتاب تعلم القراءة الذي كنت أحتاجه للذهاب إلى المدرسة، قام ببيع المعطف الوحيد الذي كان يمتلكه؛ معطف مليء بالكثير من القطع والرقع، ويبدو كالخريطة.
- رجل مسكين! أشعر بالأسف من أجله! امسك هذه القطع الخمس الذهبية واذهب مباشرة لإعطائها له، وقدّم له تحياتي.

كما يُفترض أن يكون، قدم بينوكيو الشكر آلاف المرات لآكل النار؛ احتضن كل دمى الفرقة الواحدة تلو الآخرى، بمن فيها الحرّاس، واتجه إلى منزله، تملؤه البهجة.

لكنه لم يكد يبتعد مسافة خمسمائة متر، حتى صادف ثعلبة عرجاء وقطًّا أعمى، يمشيان رويدًا رويدًا ويساعدان بعضهما البعض مثل صديقين حميمين. كانت الثعلبة تسير وهي متكئة على القط الذي أسلم قياده بدوره للثعلبة.

- صباح الخير يا بينوكيو! (قالت الثعلبة، وهي تحييه بلطف)..
- كيف تعرفين اسمي؟
- لأنني أعرف والدك حق المعرفة.
- أين رأيته؟
- رأيته بالأمس عند باب منزله.
- ماذا كان يفعل؟
- كان يرتعد من البرد.
- مسكين يا أبي! لكن، إن شاء الله، لن يشعر بالبرد بعد اليوم.
- لماذا؟
- لأنني تحولت إلى سيد عظيم.
- أنت سيد عظيم؟

قالت الثعلبة، وبدأت تضحك بسخرية ووقاحة، ضحك القط أيضًا، لكنه حاول إخفاء ذلك عن طريق مسح شاربيه بإحدى يديه.

أجاب بينوكيو بانزعاج: ليس في الأمر ما يضحك. لا أريد إغاظتكم، لكن انظروا لهذه، إذا كنتم تفهمون معنى النقود، هذه خمس قطع ذهبية رائعة.

أطلعهم على النقود التي وهبها له آكل النار.

بمجرد سماع الرنين الناعم للذهب، قامت الثعلبة العرجاء، دون أن ينتبه، بمد ساقها التي كانت عرجاء، وفتح القط الأعمى عينيه على مصراعيهما فصارتا كأنهما فوانيس خضراء؛ لكنه أغلقهما بسرعة مرة أخرى بحيث لم يلاحظ بينوكيو.

- ماذا تنوي أن تفعل بهذه الأموال؟ (سألت الثعلبة).

أجاب بينوكيو: قبل كل شيء، أريد أن أشتري سترة جديدة جميلة لأبي، مطرزة بالكامل بالذهب والفضة، وبها أزرار لمّاعة، وبعد ذلك سأشتري كتاب تعلّم القراءة من أجلي.

- من أجلك؟

- بالطبع سأشتريه، بما أنني أحب الذهاب إلى المدرسة وأحب الدراسة بجد.

قالت الثعلبة: أبعد الله عنك الشر.. انظر إليّ، بسبب ولعي المجنون بالدراسة، فقدت إحدى ساقي.

قال القط: أبعد الله عنك الشر.. انظر إليّ، بسبب ولعي المجنون بالدراسة، فقدت البصر في كلتا عيني.

في تلك اللحظة كان طائر شحرور أبيض يجلس فوق سياج نباتيّ، أطلق صفيره المعتاد وقال:

- بينوكيو، تجاهل نصائح رفاق السوء، لأنك ستندم بعد ذلك!

مسكين هذا الشحرور، لم يكد يكمل كلامه! لأن القط قفز قفزة هائلة، وانقض عليه، وابتلعه دفعة واحدة بريشه وكل شيء، دون أن يترك له الوقت حتى ليصرخ، آي!

بعد أن أكله ومسح فمه، أغمض عينيه وعاد ليتصنّع العمى مرة أخرى.

- مسكين هذا الشحرور! لماذا فعلت به ذلك؟ (قال بينوكيو للقط).
- كي ألقنه درسًا. هكذا سيتعلم في المرة القادمة أن لا يحشر نفسه في تعقيدات الحياة وأن لايتدخل في أحاديث الآخرين.

عندما أصبحوا في منتصف الطريق تمامًا، توقفت الثعلبة فجأة وقالت لبينوكيو:

- هل تريد زيادة قطعك الذهبية؟
- كيف؟
- هل تريد أن تصبح تلك القطع الخمس، مائة، ألفًا، ألفي قطعة؟
- أعتقد ذلك! لكن بأي طريقة؟
- بطريقة بسيطة جدًّا، بدلًا من الذهاب إلى منزلك، تعال معنا!
- إلى أين سنذهب؟
- إلى بلاد البوم.

فكّر بينوكيو للحظة، لكنه أخيرا قال بحزم:

- لا، لا أريد ذلك. أنا الآن بالقرب من منزلي، وأريد أن أقابل والدي الذي ينتظرني. إنه عجوز مسكين! سيكون حزينًا جدًّا، الله يعلم كم

تنهيدة تنهَّد منذ الأمس لأنني غبت عن البيت، لقد كنت ولدًا سيئًا، وكان الجدجد المتكلم على حق عندما أخبرني أن الله يعاقب الأطفال العصاة. عرفت من التجربة، لأنني سعيت إلى مصائب كثيرة، وحتى الليلة الماضية رأيت نفسي في خطر داخل منزل آكل النار! أوف! مجرد تذكّر ذلك يشعرني بالبرد.

- اهه! هل تصرّ على العودة إلى منزلك؟ حسنٌ؛ اذهب إذن، هذا سيئ لك!
- هذا سيئ لك! (كرر القط الكلام نفسه).
- فكّر في الأمر يا بينوكيو، لأنك تفوّت على نفسك فرصة كسب ثروة.
- كسب ثروة! (كرر القط).
- من اليوم إلى الغد، ستصبح قطعك الخمس ألفين!
- ألفين! (كرر القط).

سأل بينوكيو، وبقي واقفًا فاغرًا فاهُ من المفاجأة: ولكن، كيف يمكن أن تُصبح كثيرة؟

قالت الثعلبة: سترى بنفسك. وستعرف أنه في بلاد البوم، يوجد حقل استثنائي يطلق عليه الجميع اسم حقل المعجزات. تحفر حفرة في ذلك الحقل، وتضع على سبيل المثال؛ قطعة ذهبية. ثم تردم الحفرة بالتراب، وتسقيها بقليل من الماء، وترش عليها قليلًا من الملح، وبعدها يمكنك الذهاب إلى سريرك والنوم بهدوء. أثناء الليل سيصبح للقطع الذهبية جذور وفروع، وفي صباح اليوم التالي عندما تعود إلى الحقل، هل تعرف ما الذي

ستجده؟ ستجد شجرة جميلة محمّلة بالذهب مثل سنابل القمح في شهر يونيو.

قال بينوكيو الذي كان يزداد اندهاشه أكثر: هكذا إذن، وإذا دفنت القطع الذهبية الخمس في هذا الحقل، فكم سأجدها في صباح اليوم التالي؟

أجابت الثعلبة: إنها عملية حسابية بسيطة للغاية، حسبة يمكن أن تقوم بها بواسطة أصابعك، دعنا نقل إن كل قطعة ستتحوّل إلى مجموعة مكونة من خمسمائة؛ اضرب خمسمائة في خمسة، وسترى غدًا أنه يمكن أن يكون في جيبك ألفين وخمسمائة قطعة ذهبية رنانة، عدًّا ونقدًا.

صاح بينوكيو وهو يقفز بفرح: أوه، يا للروعة! عندما أقوم بجمع كل تلك القطع الذهبية، سأحتفظ بألفي قطعة لنفسي، وسأقدم لكما خمسمائة قطعة هدية.

قالت الثعلبة بلهجة إزدراء وإهانة: هدية لنا؟ ليحفظك الله على فعل ذلك!

- ليحفظك الله على فعل ذلك! (كرر القط).

تابعت الثعلبة: نحن لا نعمل من أجل المصلحة الخبيثة؛ نحن نعمل فقط لإثراء الآخرين.

- الآخرين! (كرر القط).

«يا لهم من أناس ممتازين!» فكر بينوكيو؛ ونسي صنيع والده، والسترة الجديدة، وكتاب تعلم القراءة، وجميع أهدافه الجيدة، وقال للثعلبة والقط:

- لنذهب فورًا! سأرافقكم.

الفصل الثالث عشر

نزل السلطعون الأحمر

بعد كثير من المشي، وصلوا قبل غروب الشمس إلى نزل السلطعون الأحمر، كانوا منهكين من التعب والمشقة.

قالت الثعلبة: دعونا نتوقف هنا قليلا، سنتناول وجبة خفيفة ونستريح لبضع ساعات. وفي منتصف الليل سنكون في طريقنا باتجاه حقل المعجزات.

دخلوا النزل، وجلسوا حول طاولة، لكن لم يكن لدى أيٍّ من الثلاثة رغبة في الأكل. القط المسكين الذي كانت معدته متعبة، لم يستطع تناول شيء إلّا خمسًا وثلاثين سمكة سلمون أحمر مع المايونيز، وأربع وجبات من الكرشة المطبوخة على الطريقة الأندلسية؛ لكن لمّا بدا له أن الكرشة ليست كافية جدًّا، جعلهم يضيفون كيلو ونصف من النقانق وثلاثة كيلوغرامات من اللحم الطري.

الثعلبة كانت ستأكل شيئًا بسيطًا أيضًا؛ لأن الطبيب كان قد طلب منها اتباع نظام غذائي صارم، لذا كان عليها أن تقبل بأرنب حجمه أكبر من خروف، مزيّن بحوالي أربع وعشرين رأسًا من الديكة والدجاج اللاحم. بعد الأرنب، جعلتهم يحضّرون لها حساء الحَجَل، وثلاثة أطباق من جراد البحر، وأرنبا آخر مشويا وسلسلتين من النقانق. وأخيرًا طلبت للتحلية بضعة كيلوغرامات من العنب الأبيض، وفاكهة واحدة من الشمام الأصفر

وبطيختين حمراوين، وقالت إنها لا تريد أي شيء آخر، لأنها كانت فاقدة الرغبة في الأكل لدرجة جعلتها غير قادرة على مجرد رؤية الطعام.

الذي أكل أقل من الثلاثة كان بينوكيو، لقد فرح بجوزة وقطعة خبز، وبالكاد لم يترك شيئًا في صحنه.

كانت أفكار بينوكيو المسكين معلقة في حقل المعجزات، حيث أصيب بعسر هضم بسبب القطع الذهبية.

عندما انتهوا من العشاء قالت الثعلبة للمالك:

- جهز لنا غرفتين جيدتين، واحدة للسيد بينوكيو وواحدة لي ولشريكي. سنأخذ قسطًا قليلًا من النوم قبل أن نغادر. لكن ضع في اعتبارك أننا في منتصف الليل نريد أن نستيقظ لمواصلة رحلتنا.
- نعم أيها السادة (أجاب المالك وهو يغمز للثعلبة والقط بعينه كما لو كان يقول: لقد فهمتكم يا رفاق).

حالما استلقى بينوكيو على السرير، غطّ في سبات عميق وبدأ يحلم، وبينما هو كذلك، تخيّل نفسه في وسط أحد الحقول، وكان هذا الحقل مليئًا بالأشجار الصغيرة المحمّلة بكتل من العملات الذهبية التي كانت تصدر رنينًا «تن، تن، تن» كلّما تحرّكت بفعل الهواء، وكأنها تريد أن تقول: نحن هنا من أجل الشخص الذي يريد أن يأخذنا. لكن عندما كان بينوكيو في أفضل حالاته، بمعنى أنه عندما كان يمد يديه لالتقاط تلك القطع ووضعها في جيبه، استيقظ فجأة بسبب ثلاث طرقات مدوية على باب الغرفة.

كان المالك هو الذي جاء ليخبره أن الوقت هو منتصف الليل.

- هل زملائي مستيقظون؟ (سأل بينوكيو).
- كيف تقول «مستيقظون»؟ لقد مضت ساعتان على مغادرتهم!
- لماذا هم في عجلة من أمرهم؟
- لأن القط تلقى برقية تقول إن أكبر أبنائه من القطط الصغيرة يعاني خطر الموت بسبب الالتهاب.
- هل دفعوا ثمن العشاء؟
- كيف ذلك؟ إنهم أشخاص مهذبون، ولن يرتكبوا جريمة دفع ثمن العشاء، بوجود فارس مثل حضرتك.
- عجيب! جريمة، كنت سأتلقاها بكل سرور!

ثم سأل:

- أولئك الأصدقاء المهذبون أين قالوا إنهم سينتظرونني؟
- غدًا عند شروق الشمس، في حقل المعجزات.

بعد اضطراره لترك واحدة من قطعه الذهبية لدفع ثمن عشاء الثلاثة، غادر بينوكيو النزل.

لكن يمكن القول إنه خرج وهو يتحسس طريقه، لأن ظلام الليل كان شديدًا بحيث لا يمكن رؤية أصابع اليد. لم يسمع صوت أي ورقة شجر تتحرك حوله.

فقط أحد الطيور الليلية كان يعبر الطريق من جانب إلى آخر وتعثر بأنف بينوكيو، الذي قفز وصرخ بصوت يملؤه الخوف:

- من يمشي؟

عندئذ تكرر صدى الصوت من بعيد:

- من يمشي؟ من يمشي؟ من يمشي؟

بينما كان بينوكيو يواصل طريقه، سرعان ما رأى حيوانًا صغيرًا جدًّا يلمع بتوهج شاحب ومبهم على جذع شجرة، ويضيء كما تضيء الفراشة خلف زجاج شفاف لمصباح ليلي.

- من أنت؟ سأل بينوكيو!
- أنا ظل الجدجد المتكلّم.. (أجاب الحيوان بصوت خافت وضعيف بدا كأنه قادم من العالم الآخر).
- وماذا تريد؟ قال بينوكيو.
- أريد أن أقدم لك نصيحة. عد في طريقك واحمل لوالدك المسكين هذه القطع الأربع التي بقيت معك، إنه يبكي ويشكو بسبب عدم رؤيتك.
- غدًا سيصبح والدي سيدًا عظيمًا، لأنه بدلًا من القطع الأربع سيكون لديه ألفا قطعة.
- يا بني، لا تثق بأولئك الذين يعرضون عليك أن يجعلوك ثريًّا بين عشية وضحاها! على العموم، هم إمّا مجانين وإما كذّابون يحاولون خداع الآخرين. صدقني أنا، أحبك كثيرًا: عد إلى بيتك.
- حسنٌ، على الرغم من هذا سأواصل!
- انظر كيف صار الوقت متأخرًا!
- أريد أن أستمر قُدُمًا!

- انظر، كيف أن الليل شديد الظلمة!
- أخبرتك أنني أريد أن أواصل قدمًا!
- انظر، كيف أن هذا الطريق خطر جدًّا!
- ليكن كذلك! سأستمر قدمًا!
- تذكّر أن الأولاد الذين لا يتبعون سوى نزواتهم وإرادتهم، يعاقبهم الله، وسوف يندمون عاجلًا أم آجلًا!
- نعم، أعلم ذلك! نفس القصة القديمة! تصبح على خير!
- وأنت بخير يا بينوكيو! وليحفظك الله من برد الليل ومن اللصوص!

بمجرد أن فرغ ظل الجدجد المتكلّم من الكلام، انطفأ نوره الصغير كما لو أنهم نفخوا عليه، وصار الطريق أكثر قتامة من ذي قبل.

الفصل الرابع عشر

بسبب عدم الأخذ بنصائح الجدجد المتكلّم،
يواجه بينوكيو بعض اللصوص.

«في الحقيقة، نحن الأطفال، لسنا محظوظين بالمرّة، كل الناس تصرخ علينا».. قال بينوكيو لنفسه عند مواصلة رحلته مرة أخرى.

«وكلهم يوبخوننا ويتدخلون ليقدموا لنا النصائح! إذا اهتممنا بهم، سيفعلون مثل أولياء الأمور أو الأساتذة، بمن فيهم الجداجد المتكلمة!

على سبيل المثال لأنني لم أهتم بهذا الجدجد المزعج؛ من يدري كم من المصائب سيحدث لي، بحسب قوله؟

حتى اللصوص يقول إنني سأجدهم! لحسن الحظ أنني لم أؤمن قطّ بوجود اللصوص، ولن أؤمن بوجودهم. أعتقد أنّ الآباء اخترعوا اللصوص من أجل تخويف الأولاد الذين يحبّون السير ليلًا خارج منازلهم. وبالإضافة إلى ذلك أيضًا، ماذا سيحدث لي لو وجدتهم هنا على الطريق؟ بالتأكيد لا شيء، لأنني سأصرخ في وجوههم: بصوت عالٍ: «أيها السادة اللصوص، ماذا تريدون مني؟ أنا أحذركم من أنه لا يمكن العبث معي؛ ولذا يمكنكم الصمت والابتعاد من هنا!». عندما أقول لهم كل هذا على محمل الجّد، سوف يهرب اللصوص المساكين بسرعة الريح. أتخيّل أنني أراهم يركضون

الآن! وفي النهاية، إذا كانوا غير مؤدبين ولا يريدون الهروب، عندئذٍ سأهرب أنا، وانتهى الأمر».

لكن بينوكيو لم يستطع أن ينهي تفكيره، لأنه في تلك اللحظة سمع خلفه ضجة طفيفة تنبعث من بين أوراق الشجر.

التفت بينوكيو ليرى ما الذي يحدث، فشاهد شخصين في العتمة، كانا ملثمين يرتديان زي أكياس الفحم، ويتجهان نحوه بقفزات على رؤوس الأصابع كالأشباح.

«إنهم هنا!».. قال بينوكيو لنفسه؛ لم يكن يعلم أين يخبئ القطع الذهبية الأربع، لذا وضعها في فمه تحت لسانه.

بعد ذلك حاول الهرب، لكنه لم يكد يخطو الخطوة الأولى حتى أحسّ بأنّهما أمسكاه من ذراعيه، وقالا له بصوتين ظلاميين رهيبين:

- الحقيبة أو حياتك.

لم يكن بينوكيو قادرًا على الرد بكلمة واحدة، لأن القطع الذهبية التي وضعها في فمه منعته من ذلك. قام بعمل ألف إشارة وإيماءة كي يُفهِم هذين المقنعين (اللذين لم تظهر سوى عيونهما من خلال الثقوب المصنوعة في الأكياس، فلم يكن يُرى منهما سوى الأعين) أنّه مجرد دمية مسكينة، ولا يوجد في جيبه حتى سنت واحد ينقسم إلى نصفين.

- هـا.. هيّـا! قلّـل مـن إيماءاتـك، وأعطنـا الأمـوال بسـرعة! (صـاح اللصوص بصوت حاد).

مرة أخرى قام بينوكيو بعمل إيماءة برأسه ويديه وكأنه يقول:

- لا يوجد معي أي شيء على الإطلاق!
- أخرِج المال بسرعة، وإلّا ستموت.. (قال اللص الأطول).
- ستموت! (كرر الآخر).
- وبعد قتلك، سنقتل والدك أيضًا!
- والدك أيضًا! (كرر الآخر).
- لا، لا، لا! والدي المسكين لا! (صاح بينوكيو بلهجة يائسة. لكنه عندما صاح؛ رنّت القطع الذهبية في فمه).
- آهه، أيها الوغد! إذن كنت تخبئ القطع الذهبية في فمك؟ ابصقها على الفور.

كان بينوكيو، صلبًا مثل صخرة.

- تتصنّع الطرش، ها؟ إذن انتظر، وسترى كيف سنجعلك تبصُقها!

أمسك أحدهما بينوكيو من طرف أنفه والآخر من ذقنه، وبدأ كل منهما يجذب باتجاهه لإجباره على فتح فمه؛ لكن ذلك لم يكن ممكنًا؛ لأن فمه بدا كما لو كان ممسمرًا ومثبتًا.

بعد ذلك أخرج اللص الأقصر سكينًا ضخمة، وحاول وضعها بين شفتي بينوكيو لجعله يفتح فمه؛ لكن بينوكيو الذي كان سريعًا مثل صاعقة، التقط يد اللصّ بأسنانه وقطعها بقضمة دائرية. تصوّروا مدى دهشته عندما يرميها من فمه ويرى أنها كانت يدًا بمخالب قط!

شجّعه هذا الانتصار الأوّل على أن يتخلّص من اللصوص بما أحدثه من خدوش قويّة، ثم قفز من فوق الأشجار إلى أرض منبسطة. ركض اللصوص خلفه، مثل كلبين خلف أرنب.

بعد طريق طوله خمسة عشر كيلومترًا، لم يعد بإمكان بينوكيو المسكين مواصلة الجري؛ لأنه وجد نفسه تائهًا، فتسلق جذع شجرة صنوبر طويلة للغاية، وعندما وصل إلى قمتها جلس بشكل مريح بين فرعين. حاول اللصوص أيضًا تسلّق الشجرة، لكن عندما وصلوا إلى نصف الارتفاع، انزلقوا إلى أسفل الجذع وسقطوا على الأرض، وقد تسلّخت أقدامهم وأيديهم.

لكنهم لم يستسلموا رغم ما حصل، لأنهم بعد ذلك جاؤوا بقطعة من الحطب الجاف، وقربوها من أسفل الشجرة وأضرموا فيها النار. في وقت أقل مما يتطلبه قول هذا، بدأت شجرة الصنوبر تحترق.

عندما رأى بينوكيو أن النيران بدأت تتصاعد أكثر فأكثر، وأنه لا يريد أن ينتهي مشويًّا مثل دجاجة، قفز قفزة رائعة من أعلى الشجرة، وانطلق يجري مثل الغزلان المرّاحة[1] عبر الحقول ومزارع الكروم واللصوص من خلفه، لا يتعبون أبدًا.

(1) الغزلان المرّاحة: تعيش هذه الغزلان على شكل قطعان، وتستوطن جنوب أوروبا وآسيا الصغرى، تتميّز بفرائها البني المحمر الذي يصبح في الصيف منقَّطًا بنقاط بيضاء صغيرة، ولها ذيل طويل.

فجأة، عندما بدأ ضوء النهار بالظهور، وجد بينوكيو أن الممر مقطوع بواسطة حفرة واسعة وعميقة للغاية، مليئة بالماء القذر الذي لونه يشبه لون القهوة مع الحليب.

ما العمل؟ لم يتوقف بينوكيو للتفكير في الأمر. بل ركض مسافة قصيرة وصرخ: «واحد، اثنان، ثلاثة»، ثم قفز من فوق الحفرة، متجهًا إلى الجانب الآخر. قفز اللصوص بدورهم خلفه. ولكن بما أنهم لم يحسبوا المسافة جيدًا، دج! سقطوا في الماء مباشرة.

حينما سمع بينوكيو دوي السقطة وطرطشة الماء، صاح ساخرًا منهم دون أن يتوقف عن الجري:

- كم سيشعركم هذا الحمّام بالسعادة، أيها السادة اللصوص!

كان يتصور أنهم غرقوا في الحفرة، لكنّه حين التفت وراءه رأى أنّهم ما زالوا يركضون خلفه وهم مندسّون بالأكياس ويقطرون بالماء من كل جانب.

الفصل الخامس عشر

يستمر اللصوص في مطاردة بينوكيو، وعندما يصلون إليه أخيراً، يعلّقونه في شجرة بلّوط ضخمة.

بعد أن فقد بينوكيو كل أمل له في الخلاص، انجذب لفكرة إلقاء نفسه على الأرض والاستسلام، لكن عندما نظر حوله، رأى بين قمم الأشجار الخضراء عن بعد، منزلًا صغيرًا يتم تبييضه.

قال لنفسه: لو أن لديّ القوة للوصول إلى هناك، فلربما أستطيع أن أنقذ نفسي!

وبدون أن يضيّع ثانية، أسرع عبر الغابة باتجاه ذلك المنزل الصغير، واللصوص دائما وراءه.

بعد أن ركض يائسًا لمدة ساعتين تقريبًا، وصل أخيرًا مقطوع النَفَس إلى المنزل الصغير ودق الباب.

لم يرد أحد.

دقّ الباب مرة أخرى بمزيد من القوة، لأنّه سمع صوت خطوات تقترب منه، وصوت تنفّس مطارديه ولهاثهم.

لكنْ ما زال الصمت نفسه.

عندما رأى أن الدّق لم يعط نتيجة، بدأ بركل الباب ونطحه. عندئذ أطلّت من النافذة فتاة جميلة ذات شعر أزرق جميل ووجه أبيض كالثلج، كانت عيناها مغلقتين ويداها متقاطعتين على صدرها، وبدون أن تحرّك شفتيها، قالت بصوت خافت، بدا وكأنه آتٍ من العالم الآخر:

- لا يوجد أحد في هذا المنزل؛ لقد ماتوا جميعًا!
- إذن افتحي لي أنتِ! صاح بينوكيو باكيًا ومتوسلًا.
- أنا أيضًا ميّتة!
- ميّتة! حسنٌ، وماذا تفعلين هناك عند النافذة؟
- أنا بانتظار الصندوق الذي سيستخدم من أجل دفني!

بمجرد أن قالت تلك الكلمات اختفت الفتاة، وأُغلِقَت النافذة دون أي ضجيج.

- آه، أيتها الفتاة الجميلة ذات الشعر الأزرق: افتحي بدافع الشفقة، ارحمي طفلا مسكينا مُطاردا من قبل اللصوص! (صاح بينوكيو).

لكنه لم يستطع أن ينهي كلامه، لأنه شَعرَ بيدين تمسكانه من رقبته، وسمع نفس الصوتين الخطيرين يقولان بلهجة تهديد:

- هذه المرة لن تهرب!

عندما رأى بينوكيو أنه أصبح قريبًا جدًّا من الموت، أصابته رجفة عنيفة لدرجة سُمع معها صوت احتكاك مفاصل ساقيه الخشبيتين ورنين العملات الذهبية التي كان يخفيها تحت لسانه.

- ومع ذلك دعنا نرى: هل ستفتح فمك أم لا؟ آها! أنت لا تريد الإجابة؟ الآن سوف نرى!

وأخرجا زوجًا من السكاكين الطويلة، الطويلة والحادة مثل أمواس الحلاقة، «زاس، زاس!» طعنوه طعنتين في ظهره.

لكن لحسن الحظ، كان بينوكيو مصنوعًا من الخشب الصلب حتى إن شفرات السكاكين تناثرت إلى ألف قطعة، بينما بقيت المقابض في يدي اللصين اللذين نظرا إلى بعضهما بعضًا بدهشة.

عندئذٍ قال أحدهما: آه! الآن فهمت! يجب أن نعلّقه! دعنا نعلّقه! «دعنا نعلّقه!». كرر الآخر.

بعد أن قالا ذلك ربطا يديه خلف ظهره، ووضعا له عقدة تنزلق من أسفل حلقه، وشنقاه على فرع سميك من شجرة بلّوط ضخمة.

ثم جلسا على العشب بانتظار أن يقوم بينوكيو بالحركة البهلوانية الأخيرة؛ ولكن بعد ثلاث ساعات كان بينوكيو لايزال مفتوح العينين، مُغلقَ الفم، وفي كل مرّة كان يحرّك قدميه أكثر من ذي قبل.

أخيرًا، وبعد أن سئما من طول الانتظار، نهضا، والتفتا إلى بينوكيو وقالا له بنبرة ساخرة:

- حسنٌ، نلقاك في الغد! نأمل أن تصنع معنا معروفًا عندما نعود في المرة القادمة، بأن تكون قد متّ تمامًا وفمك مفتوح.

قالا هذا وغادرا.

في غضون ذلك، هبّت ريح عاصفة، صفرت بشكل مزعج، وحرّكت بينوكيو المسكين المعلق، من جانب إلى آخر، مما جعله يتأرجح بعنف مثل مدق الجرس في يوم الاحتفال. هذه الحركة المستمرة سببت له آلامًا شديدة، وشدّت العقدة المنزلقة على حلقه أكثر وأكثر، قاطعة أنفاسه.

بدأت عينيه تغمضان شيئا فشيئا؛ شعر أن لحظة وفاته اقتربت، وأوكل نفسه إلى الله، متوسلًا أن يرسل له شخصًا خيّرًا كي ينقذه.

أصبح يهذي فقط، لمّا رأى بعد طول انتظار أنَّ أحدًا لم يمر:

- آه يا أبي؛ لو كنتَ هنا!

لم يكن لديه القدرة على قول أكثر من ذلك. أغمض عينيه، وفتح فمه، ومدّ ساقيه، وقام بحركة عنيفة، ثمّ بقي جامدًا دون حراك.

الفصل السادس عشر

الفتاة الجميلة ذات الشعر الأزرق تلتقط بينوكيو؛ تضعه على السرير، وترسل بطلب ثلاثة أطبّاء لمعرفة ما إذا كان حيّا أم ميّتًا.

في الوقت الذي بدا فيه بينوكيو المسكين (الذي علّقه اللصوص على فرع متين من شجرة البلوط) ميّتًا أكثر منه حيًّا، ظهرت مرة أخرى عند النافذة الفتاة ذات الشعر الأزرق، وتعاطفًا مع ذلك التعيس، الذي كان معلّقًا من رقبته، ويتحرك متأرجحًا بواسطة الرياح، صفقت بيدها ثلاث مرات.

بعد لحظات قليلة، سمع صوت رفرفة أجنحة سريعة، وظهرت حدأة كبيرة للغاية، ما لبثت أن حطّت على حافة النافذة.

- ما الذي تريدينه مني أيتها الجنّية الجميلة؟ (سألت الحدأة، وانحنت بمنقارها إلى الأمام دليلًا على الاحترام).

يجب أن تعرفوا أن الفتاة ذات الشعر الأزرق لم تكن سوى جنيّة طيبة للغاية، تعيش في تلك الغابة منذ ألف سنة.

- هل ترين تلك الدمية المعلّقة في فرع البلّوط الضخم؟
- أراها.

- حسنٌ، طيري إلى هناك في الحال؛ واقطعي بمنقارِكِ القوي الحبل الذي يعلّقه في الهواء، ودعيه يستلقِ على العشب عند أسفل شجرة البلّوط، بحرصٍ شديد.

طارت الحدأة، وبعد دقيقتين عادت، قائلة:

- لقد تمّ إنجاز ما أمرتني به.
- وكيف وجدته؟ هل هو حيٌّ أم ميّت؟
- للوهلة الأولى بدا ميتًا، لكن على الأغلب، لا يمكن أن يكون قد مات، لأنني عندما خففت العقدة المنزلقة التي تضغط على رقبته، تنهد بقوّة وقال بصوت ضعيف: الآن أشعر بتحسن!

عندئذٍ صفّقت الجنية صفقتين، فظهر كلب جميل من الصوف كان يمشي بشكل معتدل على قوائمه الخلفية، تمامًا كما لو كان رجلًا، وكان يرتدي زيًا فاخرًا لسائق عربات الخيل (الحوذيّ). ويضع على رأسه قبعة ذات حواف صلبة مرفوعة الجانبين ومطلية بالذهب؛ وباروكة شقراء بضفائر تتدلى حتى الرقبة؛ ويرتدي معطفا ضيّقا بلون الشوكولاته له أزرار لامعة وجيبان كبيران لتخزين العظام كي يأكل ماتعطيه لـه أمّه؛ وسروالا قصيرا من المخمل القرمزيّ اللون، وجوارب حرير، وحذاء مقطوعا. وكان يحمل خلفه نوعًا من غطاء المظلات، مصنوعا من الساتان الأزرق الذي يصلح لإدخال الذيل عندما ينذر الطقس بهطول المطر.

«استمع إليّ أيها الأمير الصالح».. قالت الجنية لكلب الصوف، «جهّز بسرعة أفضل عربة عندي، واسلك طريق الغابة».

عندما تصل إلى أسفل شجرة البلّوط الضخمة، ستجد دمية مسكينا ممدّدا على العشب ونصف ميّت. احمله بعناية، وضعه بشكل جيد على وسائد العربة وأحضره إلى هنا. هل فهمت؟

هزّ كلب الصوف غطاء المظلة المصنوع من الساتان الأزرق ثلاث أو أربع مرات، كما لو كان يعني ضمنًا أنه قد فهم، وانطلق.

بعد ذلك بوقت قصير، شوهدت عربة جميلة سماوية اللون تخرج من المرآب، كانت مبطنة بريش الكناري ويجرّها مئة زوج من الأرانب الهنديّة البيضاء بعيونها الحمراء الصغيرة؛ وتحمل في المقعد الخارجي كلب الصوف الذي كان يلوّح بسوطه يمينًا وشمالًا، كسائقي العربات الذين يخشون الوصول متأخرين.

لم تمضِ ربع ساعة حتى عادت العربة. أخذت الجنية التي كانت تنتظر عند باب المنزل بينوكيو المسكين بين ذراعيها، واقتادته إلى غرفة صغيرة جدرانها من اللؤلؤ، وأرسلت في طلب معظم الأطباء المشهورين في المناطق المحيطة.

وصل الأطباء، الواحد تلو الآخر: غراب، بومة صغيرة، جدجد متكلّم. قالت الجنية التي التفتت إلى الأطباء الثلاثة الذين تجمّعوا عند سرير بينوكيو: أود أن أعلم أيها السادة ما إذا كانت هذه الدمية المسكينة حيَّة أم ميّتة.

عند سماع هذا السؤال، تقدّم الغراب أولًا، وجسّ نبض بينوكيو؛ ثم لمس أنفه والإصبع الصغير لقدمه اليسرى، وعندما فحصه جيدًا، نطق هذه الكلمات بحزم:

- أعتقد أن الدمية ميّتة بالكامل؛ وإذا لم تكن لحسن الحظ ميّتة، فستكون تلك علامة أكيدة على أنها ما زالت على قيد الحياة.

بدورها قالت البومة: أنا آسفة لأنني لست على رأي صديقي وزميلي الألمعي نفسه، الغراب؛ أعتقد أن الدمية على قيد الحياة وبصحة جيدة. لكن، إن لم يكن كذلك لسوء الحظ، فستكون هذه علامة أكيدة على أنّها قد ماتت.

«وحضرتك ماذا تقول؟». (سألت الجنيّة، الجدجد المتكلم).

- أعتقد أن الطبيب الحكيم عندما لا يعرف ماذا يقول، فإن أفضل شيء يمكن أن يفعله هو التزام الصمت. بالنسبة لباقي الأشياء، هذه الدمية معروفة بالنسبة لي؛ أنا أعرفها منذ مدة طويلة.

بينوكيو، الذي ظل حتى تلك اللحظة ثابتا كجذع شجرة، أصابته رعشة جعلت السرير يهتز.

تابع الجدجد المتكلم حديثه: هذه الدمية هي وغد لا يمكن إصلاحه.

فتح بينوكيو عينيه، لكنه أغلقهما في نفس اللحظة.

- إنه مارق، كسول، متشرد.

خبأ بينوكيو وجهه تحت الملاءة.

- ولد عاصٍ، سيجعل والده المسكين يموت من الحزن!

في تلك اللحظة كان هناك صوت يبكي ويتنهد في الغرفة.

قاموا برفع طرف الملاءة ووجدوا أن بينوكيو هو الذي كان يبكي..

قال الغراب بحزم: عندما يبكي الميّت، تكون هذه علامة على أنه في طريقه للشفاء.

أجابت البومة الصغيرة: أنا آسفة جدًّا لأني أناقض صديقي وزميلي الألمعي. أعتقد أنه عندما يبكي الميّت، فإن ذلك يدل على أنه غير سعيد بالموت.

الفصل السابع عشر

يأكل بينوكيو السكر ولا يرغب في أخذ الدواء؛
ولكن عندما يصل حفّارو القبور لأخذه، يشرب
الدواء، ثم ينمو أنفه بسبب قول الأكاذيب.

بمجرد أن غادر الأطباء الثلاثة الغرفة اقتربت الجنّية من بينوكيو، وعندما لمست جبهته لاحظت أنه يعاني من ارتفاع في درجة الحرارة.

لذلك قامت بوضع بعض المساحيق البيضاء في نصف كوب من الماء وقدمته للدمية، قائلة له بحنان:

- اشرب هذا الدواء، وستكون أفضل في غضون أيام قليلة.

نظر بينوكيو إلى الكوب فتغيّرت تعابير وجهه، وسأل بصوت حزين:

- هل هو حلو أم مر؟
- إنه مر، لكنه سيجعلك أفضل.
- مر! لا أريده.
- هيّا، اشربه، من أجلي.
- أنا لا أحب الأشياء المرّة.
- اشربه، وسأعطيك قطعة كبيرة من السكر لتزيل طعمه السيئ.
- أين هي قطعة السكر؟
- ها هي، قالت الجنية وهي تخرجها من سكريّة ذهبية.

- أولًا أريدكِ أن تعطيني قطعة السكر، وبعدها سأشرب الماء المر.
- هل تعدني بذلك؟
- نعم.

أعطته الجنية قطعة السكر، وبعد أن أكلها بينوكيو في وقت أقل مما أقوله، لعق شفتيه قائلًا:

- من المؤسف أن السكر ليس دواءً! وإلّا لوددت تناوله كل يوم!
- الآن ستفي بالوعد الذي قطعته لي، وستشرب هذا الماء القليل الذي سيجعلك في حالة جيدة.

أمسك بينوكيو الكوب على مضض، قرّبه من مقدمة أنفه وقام بعمل إيماءة؛ ثم تظاهر بوضعه على فمه لكنه ندم على ذلك وعاد ليشمّ رائحته مرة أخرى إلى أن قال في النهاية:

- إنه شديد المرارة! مُرٌّ جدًا! لايمكنني شربه!
- كيف يمكنك أن تعرف طعمه، إذا لم تجرّبه؟
- أستطيع أن أتخيّله، أعلم بالروائح. أولًا أريد قطعة أخرى من السكر، وبعد ذلك سأشربه.

(مع كل صبر الأم الطيبة، وضعت الجنية قليلًا من السكر في فمه، ثم قدّمت له الكوب مرة أخرى).

- لا أستطيع أن أشربه هكذا، قال بينوكيو ذلك وهو يقوم بعمل ألف إيماءة.

- لماذا؟
- لأن تلك الوسادة التي على قدمي تزعجني.

أبعدت الجنية الوسادة.

- هذا لا يُجدي! لأنني لا استطيع شربه.
- ما الذي يزعجك الآن؟
- يزعجني باب الغرفة، إنه نصف مفتوح.

عندئذٍ أغلقت الجنية الباب.

- لا أريد! (صاح بينوكيو باكيًا، وراكلًا بأقدامه).. لا، لا أريد أن أشرب هذا الماء المر؛ لا أريد؛ لا، لا!
- انظر يا بني، بعد ذلك سوف تندم.
- أحسن!
- مرضك خطير.
- أحسن!
- هذه الحمى يمكن أن تأخذك إلى العالم الآخر.
- أحسن!
- ألستَ خائفًا من الموت؟
- أبدًا. لأنني كنت سأموت من شرب هذا الدواء المُر.

في تلك اللحظة، انفتح باب الغرفة على مصراعيه، ودخلت أربعة أرانب سوداء كالحبر، تحمل على أكتافها؛ صندوقًا خاصًّا بالموتى.

- ماذا تريدون؟ (صاح بينوكيو فزعًا، وهو جالس على السرير).
- لقد جئنا من أجلك.. (أجاب الأرنب الأكثر سمنة).
- من أجلي؟ لكنني لم أمت بعد!
- ليس بعد؛ لكن أمامك لحظات قليلة من الحياة، لأنك لا تريد أن تشرب الدواء الذي كان سيشفيك من الحمّى.
- أوه، يا جنّيتي! يا جنّيتي! بدأ بينوكيو الصياح. أعطيني الكوب على الفور! بسرعة من فضلك، لأنني لا أريد أن أموت، لا أريد أن أموت!

وأمسك الكوب بكلتا يديه، وشربه برشفة واحدة.

عندئذٍ قالت الأرانب: صبر جميل! هذه المرة رحلتنا ضاعت سُدى.

حملت الأرانب الصندوق ثانية على أكتافها بعد أن كانت قد وضعته على الأرض، وغادرت الغرفة وهي تتذمّر وتتمتم بأفواه مغلقة.

بالطبع، وفي غضون دقائق، كان بإمكان بينوكيو القفز من على السرير وقد شفي تمامًا؛ لأنه من المعروف بالفعل أن الدمى الخشبية تتميز بخاصية أن تصبح فجأة مريضة جدًّا، وتتعافى بلمح البصر.

عندما رأته الجنيّة يركض بفرح ويتحرك في الغرفة، بنشاط وسعادة كطائر صغير فرّ من القفص، قالت له:

- إذن دوائي يناسبك تمامًا؟
- أعتقد ذلك! لقد أحياني من جديد!
- ولماذا قاومت كثيرا لتشربه؟
- لأننا الأطفال هكذا. نخاف من الأدوية أكثر من المرض.

- هذا تصرف سيئ إذن! يجب أن تتذكّروا أيّها الأطفال أن أخذ الدواء في الوقت المناسب يمكن أن يمنع مرضًا خطيرًا، ويمنع حتى الموت نفسه.
- ها! في المرة القادمة لن أقاوم كثيرًا. وسأتذكر تلك الأرانب السوداء وصندوق الأموات المحمول على أكتافها، وعندها سآخذ الكوب على الفور، وأشربه.
- حسنٌ جدًّا! والآن تعال إلى هنا واجلس بجانبي، وأخبرني كيف وقعتَ في أيدي اللصوص.
- حسنٌ! كان ذلك عندما أعطاني آكل النار خمس قطع ذهبية وقال لي: «خذها إلى والدك». وفي الطريق وجدت ثعلبة وقط، وهما شخصان طيبان للغاية، قالا لي: «هل تريد أن تصبح هذه القطع الذهبية ألفًا أو ألفين؟ تعال معنا وسنأخذك إلى حقل المعجزات».

قلت لهما: «هيّا نذهب» فقالا: «سنتوقف لفترة من الوقت في نزل السرطان الأحمر، وعند منتصف الليل سنواصل طريقنا». عندما استيقظت لم أجدهما لأنهما غادرا. وبعد ذلك غادرت أنا أيضًا.

كانت ليلة مظلمة لدرجة أنه بالكاد يمكن السير. وجدت لصّين متخفيين في كيسين من الفحم، قالا لي: أعطنا النقود! فقلت لهما: «لايوجد معي نقود»؛ لأنني كنت قد أخفيت القطع الذهبية في فمي. أراد أحد اللصين وضع يده في فمي، فقمت بعضّها، وقطعتها له

بقضمة، لكن عندما بصقتها، وجدت بدلًا من اليد، مخالب قط. فركض اللصان ورائي. ركضت وركضت، حتى أمسكاني ثم علقنني من رقبتي بإحدى أشجار الغابة، قائلين: «سنعود غدًا، وستكون ميتًا تمامًا بفم مفتوح، حينئذٍ سنخرج القطع الذهبية التي تخفيها تحت لسانك».

- وأين هي القطع الذهبية الأربع؟ (سألته الجنيّة).
- لقد ضيّعتها.

لكنها كانت كذبة، لأن القطع كانت في جيبه. بالكاد قال بينوكيو هذه الكذبة، لذلك نما أنفه، الذي كان من قبل طويلاً جدًّا، أكثر من إصبعين.

- أين فقدتها؟
- في الغابة.

مع هذه الكذبة الثانية، استمر أنفه بالنمو.

قالت الجنيّة: إذا كنت قد فقدتها في الغابة، فسوف نبحث عنها وسنجدها بالتأكيد، لأن كل الذي يضيع في هذه الغابة يتم العثور عليه باستمرار.

قال بينوكيو وهو يتورّط بالكذب أكثر فأكثر: أتذكّر الآن جيدًا، فأنا لم أفقدها، لكنني ابتلعتها دون إرادتي عند تناول الدواء.

مع هذه الكذبة الثالثة، تمدد أنف بينوكيو بطريقة غير عادية حتى إن المسكين لم يعد بإمكانه الدوران إلى أي اتجاه. إذا التفت إلى جانب، تعثر بالسرير أو بزجاج النافذة؛ وإذا التفت إلى الجانب الآخر، تعثر بالحائط أو

بباب الغرفة، وإذا رفع رأسه، فإن هناك خطر وضع مقدمة ذلك الأنف الهائل في عين الجنيّة.

نظرت الجنيّة إليه وضحكت.

- لماذا تضحكين؟ (سأل بينوكيو المرتبك والحائر لرؤية أنفه الذي نما بدقائق).
- أضحك على الأكاذيب التي قلتها.
- وكيف تعرفين أنني قلت أكاذيب؟
- الأكاذيب تُعرف على الفور يا بني، لأنه يوجد منها صنفان: الأكاذيب التي لها أرجل قصيرة، والأخرى ذات الأنف الطويل، أكاذيبك أنت على ما يبدو، هي من النوع الذي له أنف طويل.

شعر بينوكيو بالخجل الشديد، ولم يعد يدري أين يختبئ، حاول مغادرة الغرفة لكن ذلك لم يكن ممكنًا؛ فقد كبُر أنفه كثيرًا ولم يستطع المرور من الباب.

الفصل الثامن عشر

يلتقي بينوكيو مع الثعلبة والقط مرة أخرى، ويذهب معهما لزرع قطعه الذهبية الأربع في حقل المعجزات.

كما توقّعتم، فإن الجنيّة تركت بينوكيو يبكي ويصرخ لأكثر من نصف ساعة، لأنّه لم يتمكّن من مغادرة الغرفة مع ذلك الأنف الكبير.

لقد فعلت ذلك لتلقّنه درسًا من أجل أن يغيّر عادة الكذب، وهي أبشع عادة يمكن أن يتعلمها الطفل. لكن عندما رأته يائسًا لدرجة أن عينيه خرجتا من محجريهما، شعرت بالأسف عليه وصفقت عدة صفقات.

عند تلك الإشارة دخلت إلى الغرفة بضعة آلاف من طيور نقّار الخشب (تدعى هكذا لأنها تنقر الأشجار في الغابة)، وحطّت جميعها على أنف بينوكيو، وبدأت بنقره، بهذه الطريقة وفي بضع دقائق عاد الأنف الضخم إلى حجمه السابق.

- كم أنت طيّبة يا جنيّة وكم أحبك (قال بينوكيو ذلك، وهو يمسح عينيه).
- أيضًا أنا أحبك كثيرًا، أجابت الجنّية، وإذا كنت تريد البقاء معي، فستصبح مثل أخي الصغير، وسأكون أختك الطيبة.
- أود أن أبقى؛ ولكن ماذا عن والدي المسكين؟

- لقد فكرت في هذا الأمر بالفعل، وطلبت منهم أن يخبروه، وسيكون هنا قبل منتصف الليل.
- حقًّا؟ (صاح بينوكيو وهو يقفز بفرح) إذا بدا لك الأمر جيدًا أيتها الجنيّة الجميلة، فسأذهب للبحث عنه! لدي شوق كبير لتقبيل هذا العجوز المسكين الذي عانى الكثير من أجلي.
- حسنٌ؛ اذهب إذن. لكن حذارِ أن تضيع. اسلك طريق الغابة، وعندها ستجده بالتأكيد.

غادر بينوكيو، وبمجرد وصوله إلى الغابة، بدأ الركض مثل كلب سلوقي. لكن عندما وصل قرب المكان الذي كانت فيه شجرة البلّوط الضخمة، توقف فجأة، لأنه سمع ضجيج أناس بالأحراش. في الواقع: شاهد ظهور...

هل تعرفون من؟

حسنٌ، شاهد الثعلبة والقط؛ أو بالأحرى شاهد رفقاء الرحلة، أولئك الذين تناول معهم طعام العشاء في نزل السلطعون الأحمر.

- حسنٌ، إنه عزيزنا بينوكيو! (صاحت الثعلبة، وهي تعانقه وتقبّله).
- ماذا تفعل هنا؟
- ماذا تفعل هنا؟ (كرر القط).
- قال بينوكيو: إنها قصة طويلة. ولكن قبل كل شيء، سأخبركم أنكما عندما تركتماني تلك الليلة في النزل، قابلني بعض اللصوص في الطريق.

- بعض اللصوص؟ ولكن هل هذا حقيقي؟ مسكين بينوكيو! وماذا كانوا يريدون؟
- أرادوا أن يسرقوا مني القطع الذهبية.
- محتالون!
- محتالون! (كرر القط).

واصل بينوكيو كلامه: لكنني هربت، وكانوا دائمًا ورائي، حتى أدركوني وعلّقوني في أحد فروع تلك الشجرة.

أشار بينوكيو إلى الشجرة الضخمة التي كانت على بعد خطوتين.

هتفت الثعلبة: ما هذه الفظاعة! يا له من عالم سيئ! كانت تبدو كذبة وجود أشخاص على هذه الشاكلة! أين يمكن أن نعيش بسلام نحن الأشخاص المحترمين؟

بينما كانوا يتحدثون بهذه الطريقة، لاحظ بينوكيو أن يد القط اليمنى كانت مربوطة، وأنها تفتقد إلى الكف كلّه، والمخالب وكل شيء.

- ماذا فعلت بكفّك؟

أراد القط أن يجيب لكنّه تلعثم وارتبك، عندئذٍ تدخلت الثعلبة ببراعة قائلة:

- صديقي بسيط للغاية، ولهذا السبب لا يستطيع التعبير. أنا سأقول لك ما جرى: قبل حوالي ساعة من الآن، وعندما كنّا في الطريق التقينا بذئب عجوز، وطلب منّا صدقة لأنه كاد أن يموت من الجوع. ولأنه لم يكن لدينا شيئًا لنعطيه؛ هل تدري ما الذي فعله صديقي الذي

يملك أعظم قلب في العالم؟ قطع كفّه الأيمن بقضمة واحدة، وألقاه للذئب المسكين لكي يفطر.

في نهاية قصتها مسحت الثعلبة دمعة من عينها.

بينوكيو أيضًا كان متأثرًا. اقترب من القط وهمس في أذنه:

- يا لسعادة الفئران لو كانت كل القطط مثلك!
- ماذا تفعل الآن في هذا المكان؟ (سألت الثعلبة بينوكيو).
- أنتظر والدي الذي يجب أن يصل بين لحظة وأخرى.
- والقطع الذهبية؟
- معي في جيبي، باستثناء واحدة أنفقتها في نزل السلطعون الأحمر.
- وماذا عن التفكير بأنها بدلًا من أن تكون أربع قطع، قد تكون غدًا ألفًا أو ألفين! لماذا لا تسمع نصيحتي؟ لماذا لا تزرعها في حقل المعجزات؟
- اليوم مستحيل؛ سنذهب في يوم آخر.
- في يوم آخر سيكون الوقت قد فات.
- لماذا؟
- لأن سيدًا ثريًّا قام بشراء ذلك الحقل، ومنذ الغد لن يسمح لأي شخص بزراعة الأموال.
- وكم هي المسافة من هنا إلى حقل المعجزات؟

- لا تتعدى كيلومترين. هل تريد المجيء؟ سنستغرق نصف ساعة للوصول؛ تزرع القطع الأربع مباشرة، وفي بضع دقائق تجمع ألفين، ثمّ تعود وجيوبك ممتلئة تمامًا. ماذا؟ هل ستأتي؟

تردد بينوكيو قبل الإجابة، لأنه تذكّر الجنية الطيبة وجيبيتو العجوز ونصيحة الجدجد المتكلم؛ لكن الأمر انتهى به إلى أن يفعل نفس الشيء، مثل كل الأولاد الذين ليس لديهم حتى القليل من الحكمة أو القلب؛ هزّ رأسه وقال للثعلبة والقط:

- حسنٌ، أنا ذاهب معكم!

سار الثلاثة معًا.

بعد المشي لمدة نصف يوم، وصلوا إلى بلدة تسمى «قرية النصّابين».

بمجرد دخولهم، رأى بينوكيو في جميع الشوارع، الكثير من الكلاب النحيلة والجائعة التي تمددت فاتحةً أفواهها، وخرافا قذرة مسلوخة الجلود ترتجف من شدة البرد، وديكة ودجاجات نصف منتوفة ودون عرف تتوسّل من أجل حبة ذرة؛ وفراشات كبيرة لم تعد قادرة على الطيران لأنها باعت أجنحتها الجميلة ذات الألوان الزاهية، وطواويس تخجل من الحالة المزرية لذيولها، وطيور التدرج[1] التي تبكي على فقدان ريشها الذهبي والفضي الرائع.

(1) طائر التدرج: من الطيور الداجنة كالدجاج، من عائلة التدرجيات. يصل طول الطير البالغ إلى 90 سم، يتميز الذكر بطول ذيله وألوانه المتعددة الزاهية.

ومن حين لآخر، كانت تمر بين ذلك الكم الهائل من المتسوّلين، عربة مميّزة تجلس في داخلها ثعلبة، وعقعق[1] لص، وطائر آخر ضخم، قبيح ومفترس.

- وأين هو حقل المعجزات؟ (سأل بينوكيو).

- على بعد خطوتين من هنا.

اجتازوا البلدة، وعندما غادروها، مرّوا بحقل منفرد ذي شكل بيضاوي أكثر من باقي حقول العالم.

قالت الثعلبة لبينوكيو: لقد وصلنا! قم الآن بعمل حفرة في الأرض بيديك، وضع فيها القطع الذهبية الأربعة.

أطاعها بينوكيو؛ وصنع حفرة، ثمّ وضع فيها القطع الأربعة التي بقيت معه، وغطّاها بالتراب.

- والآن، اذهب إلى ذاك النهر القريب واجلب القليل من الماء لسقاية الأرض التي زرعتها.

ذهب بينوكيو إلى النهر. لكن نظرًا لعدم وجود دلو في المتناول، خلع فردة حذائه وملأها بالماء، الذي سقى به أرض الحفرة.

بعدها سأل:

- هل يتعين عليّ القيام بشيء آخر؟

---

(1) العقعق: اسمٌ يُطلق على عدد من الطيور من فصيلة الغرابيات، لها أذيال طويلة. والعقعق الشائع أسود اللون مع وجود لون أبيض في الأجزاء السُفلى وأطراف الجناح.

- لا شيء أكثر من ذلك، أجابت الثعلبة؛ الآن يمكننا أن نغادر. اذهب أنت إلى البلدة، وعندما تقضي هناك مدة عشرين دقيقة، عُد مرة أخرى، وستجد أن الشجرة الصغيرة قد نبتت بالفعل، مع كل الفروع المحمّلة بالقطع الذهبية.

بينوكيو المسكين الممتلئ بالبهجة شكر الثعلبة والقط بكثير من الانفعال، ووعدهما بهدية رائعة.

- نحن لا نريد أيّ هدايا، (أجاب هذا الزوج من الأوغاد)، فقط سررنا بك أكثر من سرورنا بعيد الفصح، لأنك تعلمت كيف تصبح ثريًا دون أي عناء.

بعد أن قالوا هذا، حيّوا بينوكيو، وتمنّوا له حصادًا جيدًا، وغادروا.

الفصل التاسع عشر

تُسرق القطع الذهبية من بينوكيو، وفوق ذلك يُسجن لمدة أربعة أشهر.

عندما عاد بينوكيو إلى البلدة بدأ بحساب الدقائق الواحدة تلو الأخرى، وبما أنه اعتقد أن الوقت اللازم قد مر، انطلق مرة أخرى نحو حقل المعجزات.

مشى بخطى سريعة، وشعر أن قلبه ينبض بقوة أكثر من المعتاد، ويصدر صوت «تيك تاك، تيك تاك»، مثل الساعة. في الوقت نفسه، كان يفكّر في داخله: «ماذا لو وجدت أن فروع الشجرة تحمل ألف قطعة نقدية بدلًا من ألفين، ستكون خيبة أمل! ولكن ماذا لو بدلًا من ألفين؛ خمسة آلاف؟ ولو بدلًا من خمسة آلاف؛ مائة ألف؟ عندئذٍ سأصبح فعلًا سيدًا عظيمًا! سيصبح لدي قصر رائع، وألف حصان ورقي في إسطبلات كثيرة، وسيارات وطائرات ومخزن مليء بحلوى الزبدة، وكراميل اللوز، ومخبوزات حلوة، وشوكولاتة، وحلوى جبال الألب».

أثناء تخيّله هذه الأشياء؛ شاهد حقل المعجزات من بعيد، فكان أول ما فعله هو رؤية ما إذا كانت هنالك أيّ أشجار صغيرة ذات أغصان محمّلة بقطع ذهبية، لكنه لم يرَ شيئًا. تقدّم مئة خطوة أخرى، ولا شيء، دخل الحقل

ووصل إلى نفس المكان الذي حفر فيه الحفرة لدفن القطع الذهبية، لكن لا شيء، لا شيء، ودائمًا لا شيء.

عندئذٍ أصبح مكفهرًا ومضطربًا، وسرعان ما نسي كل ما تعلّمه عن الأخلاق الحميدة والتربية الصالحة، وسحب يده من جيبه وبدأ يحك رأسه. في تلك اللحظة وصل إلى مسامعه صوت ضحكة عالية. استدار، ليرى ببغاءً عجوزًا يقف بين أغصان شجرة، ويرتّب بمنقاره الريشات القليلة التي تبقّت لديه.

- لماذا تضحك؟ (سأله بينوكيو بغضب).
- أضحك، لأنني عند تمشيط ريشاتي، دغدغتُ تحت جناحي.

لم يرد بينوكيو. بل ذهب إلى النهر، وملأ الحذاء بالماء وراح يسقي به الأرض التي وضع بها القطع الذهبية.

ضحكة أخرى أعلى وأكثر وقاحة من سابقتها سُمعت في ذلك الحقل المنعزل.

- لكن دعنا نرى أيها الببغاء الوقح! (صرخ بينوكيو الغاضب)، هل أستطيع أن أعرف مالذي تضحك عليه؟
- أضحكُ على الحمقى الذين يصدّقون كل الأباطيل التي تقال لهم، والتي تجعلهم يتعرضون بغباء للخديعة من قِبَلِ أول شخص يقابلهم!
- تقول هذا عني؟
- نعم يا بينوكيو المسكين، أقول هذا عنك، لأنك ساذج، لدرجة أنك صدّقت أن الأموال تزرع في الحقل ويتم جمعها لاحقًا، كما هي

الحال مع الفاصولياء والبطاطا. أنا أيضًا صدّقت ذلك ذات مرة، ولهذا السبب أنا بدون ريش، والآن وعلى الرغم من فوات الأوان، عرفت أنه للحصول بشرف على بضعة بنسات، يجب كسبها من خلال العمل، سواء أكان هذا العمل يدويًّا أم من خلال جُهد عقلي.

قال بينوكيو وقد بدأ يرتعد من الخوف: أنا لا أفهمك!

- سأوضح لك الأمر بصورة أفضل؛ لتعلم إذن أنّه خلال وجودك في البلدة عادت الثعلبة ومعها القط إلى الحقل، واستخرجا القطع الذهبية، ثم هربا كما لو أنّ الريح تحملهما. وهذا ما كان سيفعله أي شخص في مكانهما!

ظلّ بينوكيو مشدوهًا؛ ولأنه لا يريد تصديق ما أخبره به الببغاء، بدأ يحفر التربة التي سقاها بيديه، يحفر ويحفر، حتى صنع حفرة كبيرة مثل مغارة. لكن لم تظهر القطع الذهبية.

بعد أن امتلأ باليأس عاد راكضًا إلى القرية، وتوجه مباشرة للمثول أمام القاضي، ليخبره عن اللصوص الذين سرقوا قِطعةُ الذهبية.

كان القاضي قردًا من عائلة الغوريلا. قرد عجوز محترم للغاية من خلال مظهره الجدّي، ولحيته البيضاء، وخصوصًا من خلال تلك النظارات الذهبية التي بدون عدسات، والتي بدأ يستخدمها منذ عامين لأنه يعاني من مشكلة في الرؤية.

عندما مثل بينوكيو أمام القاضي أخبره بأنه كان ضحية للخداع؛ وأخبره أيضًا عن أسماء اللصوص وألقابهم وأوصافهم الشخصية، وفي النهاية طالب بتحقيق العدالة.

أصغى القاضي إلى بينوكيو بلطف شديد، وأظهر اهتمامًا كبيرًا بما سمعه. لوحظ بوضوح أنه كان متأثرًا من تلك القصة، وأنه شعر بتعاطف حقيقي مع بينوكيو. ولكن عندما انتهى، مدّ يده إلى الجرس.

مع هذه النداء، جاء زوج من كلاب الدرواس الضخمة[1]، يرتديان زي الحرّاس.

قال القاضي لهما وهو يشير إلى بينوكيو:

- لقد سرقوا من هذا الشيطان المسكين أربع قطع ذهبية؛ لذلك اقبضوا عليه، ورافقوه إلى السجن.

صُعق بينوكيو لدى سماع هذه الجملة. أراد الاحتجاج؛ لكنه لم يستطع، لأنّ الحرّاس كمّموا فمه كي لا يضيّع الوقت بلا داع، واقتادوه إلى السجن. بقي هناك أربعة أشهر؛ أربعة أشهر لا نهاية لها، وكان سيبقى مدة أطول من ذلك بكثير، لو لم يكن هناك حدث سعيد.

حسنٌ يا سادة! الذي حدث هو قيام الإمبراطور الشاب الذي كان يحكم قرية النصابين، بإصدار أمر من أجل تنظيم احتفالات كبرى وعامّة لإحياء

(1) تعرف الكلاب من سلالة الدرواس بكونها من أضخم الكلاب وزنًا وحجمًا، وتعود أصول سلالتها إلى جنوب إيطاليا حيث تم ترويضها واستخدامها في الحراسة.

ذكرى انتصاره الكبير على أعدائه، تضمّنت الاحتفالات إضاءات، وألعابًا نارية، وسباقات خيول، ودراجات هوائية؛ ولإظهار الرأفة، كما أنّه أمر بفتح السجون والإفراج عن جميع الغشاشين.

عندئذٍ قال بينوكيو للسّجّان: لقد غادر السجناء السجن، وأنا أريد الخروج أيضًا.

- لا يمكنك المغادرة! لأنك لا تحسب في عداد الـ...
- اعذرني يا سيدي؛ أنا أيضًا غشّاش (قاطعه بينوكيو).
- آه، هكذا إذن! في هذه الحالة، أنت محقٌّ تمامًا يا سيدي.

أجابه السجّان باحترام، وهو يرفع له القبّعة.

ثمّ فتح باب السجن، وقام بانحناءة شديدة، تاركًا بينوكيو يخرج.

الفصل العشرون

بعد خروجه من السجن، يحاول العودة إلى منزل الجنية؛ لكنه في الطريق يقابل ثعبانًا مخيفًا ثم يقع في مصيدة.

تصوّروا كم كانت فرحة بينوكيو كبيرة عندما وجد نفسه حُرًّا. خرج من البلدة راكضًا دون أن يتوقف ولو للحظة واحدة، وسلك الطريق الذي يجب أن يقوده إلى منزل الجنية الصغير.

أمطرت كثيرًا، وكان الطريق موحلًا جدًّا. غاصت أقدام بينوكيو بالطين حتى الكاحل.

لكن بينوكيو تجاهل هذا الطين مع رغبته في العودة إلى جوار والده وأخته الصغيرة، الفتاة الجميلة ذات الشعر الأزرق؛ كان يقفز مثل كلب سلوقي، فوصلت بقع الوحل إلى قبعته.

أثناء ركضه على هذا النحو، كان يقول لنفسه: «مررت بالكثير من المصائب ولكني أستحقها كلها! لأنني شقي وعنيد! وأفعل باستمرار ما أفكر به، دون الاستماع إلى نصيحة من يحبونني، الذين يملكون حكمة وخبرة أكثر مني بألف مرة!

لكنني أنوي تغيير حياتي منذ الآن، سأصبح ولدًا صالحًا ومطيعًا! أنا بالفعل مقتنع بأن الأولاد العصاة يلقون على الدوام نهاية سيئة. هل أبي ما زال

ينتظرني؟ هل سيكون مع الجنّية في المنزل الصغير؟ المسكين! منذ متى لم أره؟ منذ متى لم أشعر بالراحة عند تقبيله؟ هل ستسامحني أختي الصغيرة الجميلة عن السوء الذي أنا عليه؟ وهي تفكر بأنني مدين لها بالكثير من الامتنان، لأنها اهتمت بي كثيرًا، ولأنها أنقذت حياتي! لا! إذ إنه من المستحيل أن يكون هنالك طفل شقي وغير ممتن أكثر مني!».

عندما انتهى من قول هذا توقف خائفًا وعاد بضع خطوات إلى الوراء. فما الذي جرى له؟ حسنٌ، في منتصف الطريق شاهد أفعى مخيفة، ذات جلد أخضر وعينين من نار، كان ذيلها متوجهًا نحو السماء، ويدخّن مثل مدخنة؛ من المستحيل وصف الرعب الذي شعر به بينوكيو.

ابتعدَ ما يزيد قليلًا عن نصف كيلومتر، وجلس ينتظر فوق كومة من الحصى على أمل أن تذهب الأفعى إلى أشغالها أو أن تضطر للرحيل إلى مكان ما وتترك الممر خاليًا.

انتظر ساعة وساعتين وثلاث ساعات، لكن على ما يبدو أنّ الأفعى لم يكن لديها ما تفعله طوال اليوم، وأنها ستكتفي بما لديها.

هذا هو السبب في أنها بقيت هناك. من بعيد رأى بينوكيو سطوع عينيها الناريتين والدخان الذي يخرج من ذيلها. لذلك، واعتقادًا منه بأنه يمتلك شجاعة كافية، تقدّم إلى أن أصبح على مقربة بضع خطوات من الأفعى، وحيّاها بانحناءة احتفالية، وقال بصوت منخفض، حنون ومعبّر:

– اعذريني حضرتك يا سيدة أفعى، هل تتكرّمين وتبتعدين قليلًا كي أتمكّن من العبور؟

كما لو أنه قد قال ذلك للحائط!

أصرّ بينوكيو بنبرة أكثر لطفًا:

- سامحيني، يا سيدتي الأفعى، لكنني سأعود إلى منزلي، فإنّ أبي ينتظرني هناك، وكما تعلمين حضرتك، أنا لم أره منذ مدة طويلة! فهل تسمحين لي بالمرور؟

لم تكتف الأفعى بعدم الرد، بل أنها أصبحت فجأة غير قادرة على الحركة، وجامدة تقريبًا.

أغلقت عينيها، وتوقف الذيل عن التدخين.

- أوه! يبدو أنها ماتت! لولولي، لولولي!

ظنّ بينوكيو ذلك، وتقدّم بسعادة بالغة وهو يفرك يديه بفرح، ليمر من فوق الأفعى.

لكنه لم يكد ينته من رفع ساقه، حتى انتصبت الأفعى فجأة؛ وأصبحت مثل نابضٍ ينط.

قفز بينوكيو المرعوب، قفزة سريعة للوراء، فتعثر، وقام بشقلبة في الهواء كما هي الحال في السيرك، وسقط أرضًا على رأسه.

وبما أن رأس بينوكيو كانت صلبة، والطريق كان به الكثير من الوحل، ظل رأسه ثابتًا في الأرض وأقدامه في الهواء.

عند رؤية بينوكيو على هذا النحو المضحك، وهو يركل بقدميه يمنة ويسرة، بدأت الأفعى تضحك بصوت عالٍ جدًا، وتطلق قهقهات هائلة.

ولكن يا لهذا الضحك! لقد ساءت حالتها. وأخيرًا، وبسبب الكثير من الضحك والضحك والضحك، انفجر أحد الأوردة في صدرها، وماتت بحق.

نهض بينوكيو بعد مجهود رائع، واستأنف سيره للوصول إلى منزل الجنّية قبل حلول الظلام.

لكن بينما هو سائر في الطريق، لم يعد باستطاعته مقاومة الثقوب التي خلّفها الجوع في معدته، فأسرع إلى كرم مجاور لتناول بعض عناقيد عنب المسك[1].

حالما دخل الكرم، كراك...، شعر أن طوقين حادين من الحديد سجنا ساقيه، مما جعله يرى كل النجوم في السماء.

سقط بينوكيو المسكين في فخ وضعه صاحب الحقل هناك من أجل اصطياد أي عرسة[2] أو حيوان من الحيوانات المفترسة الأخرى الموجودة بكثرة، والتي كانت تشكّل آفة لجميع حظائر الدواجن الموجودة في المنطقة.

(1) عنب ينتمي إلى المجموعة البيضاء عمومًا، يتميز بأنه حلو المذاق وعطري جدًّا.

(2) العرسة أو ابن عرس: ثدييات من رتبة آكلات اللحوم، طولها حوالي 70 سم (متضمنًا الذيل)، جسمها ممدود للغاية، أرجلها قصيرة، رأسها صغير، خطمها حاد، ذيلها طويل.

الفصل الحادي والعشرون

يقع بينوكيو في قبضة مزارع يجبره على العمل ككلب لحراسة قن الدجاج.

بدأ بينوكيو المسكين بالبكاء والصراخ والأنين. لكن صراخه وبكاءه كانا بلا جدوى، لأنه لم يكن هناك أي بيت في كل المنطقة المحيطة، ولم يمر أي كائن حي عبر الطريق.

جاء الليل، وأصبح بينوكيو المسكين على وشك الإغماء بسبب الألم الشديد الذي أحدثته تلك المصائد الحديدية التي كانت تضغط على ساقيه مثل كمّاشتين من جهة، وبسبب الخوف الهائل من البقاء وحيدًا ليلًا في هذه المنطقة من جهة أخرى.

عندئذٍ رأى يراعة مضيئة تمرُّ بالقرب من رأسه، فصاح بها قائلًا: أيتها الدودة الصغيرة الجميلة! هل تريدين أن تعملي خيرًا معي لتحريري من هذا العذاب؟

قالت اليراعة وهي تقترب وتنظر إليه بشفقة: ولد مسكين! لماذا ساقاك بين تلك المصائد الحادة؟

- لأنني دخلت هذا الحقل لأخذ عنقودين من عنب المسك!
- لكن هل هذا العنب هو ملكٌ لك؟
- لا.

- ومن هو الذي علّمك أن تأخذ ما هو ليس لك؟
- لقد كنت جائعًا جدًّا!
- يا بني، الجوع ليس سببًا وجيهًا للاستحواذ على ما هو ليس لك!

صاح بينوكيو وهو يبكي: هذا صحيح، هذا صحيح، لكنني لن أفعل ذلك بعد الآن!

في هذه اللحظة، توقف الحوار بسبب ضوضاء طفيفة لخطوات كانت تقترب. كانت خطوات صاحب الحقل الذي وصل سيرًا على رؤوس الأصابع لمعرفة ما إذا كان أي من حيوانات العرسة التي تخطف دجاجته ليلاً قد وقع في الفخ.

كانت دهشتهُ عظيمةً عندما أخرج مصباحًا يضعه تحت معطفه، ورأى أنّ صبيًّا وقع في الفخ بدلًا من العرسة.

قال المزارع الغاضب: آه حرامي! إذن أنت الشخص الذي يسرق دجاجاتي؟

صاح بينوكيو وهو ينتحب: أنا، لا.. أنا، لا! لقد دخلت الحقل فقط لأخذ عنقودين من العنب!

- من يسرق العنب يمكنه سرقة الدجاج أيضًا، سأعلمك درسًا لن تنساه في حياتك كلها!

وفتح المصائد، وأمسك الصبي من رقبته وبدأ السير معه في طريقه نحو منزله، وعندما وصل أمام الباب تركه يسقط في نقطة كانت تقريبًا عند المدخل وجلده جلدتين، ثم قال:

- أصبح الوقت متأخرًا جدًّا؛ أريد أن أنام الآن، وغدًا سأتحاسب معك. وفي الوقت نفسه، بما أن الكلب الذي كان يحرسني ليلًا قد مات اليوم، فسأضعك مكانه. وسوف تخدمني ككلب حراسة.

بعد أن قال هذا، وضع طوقًا جلديًّا سميكًا على رقبته، مملوءًا بمسامير حديدية، ومشدودًا حتى لا يمكن إزالته من الرأس.

القلادة كانت متصلة بسلسلة حديدية طويلة، مربوطة من الطرف الآخر بالجدار.

- يمكنك الدخول إلى هذا الكوخ الخشبي إذا هطل المطر هذه الليلة، هناك تجد القش الذي كان لمدة أربع سنوات بمثابة فراش لكلبي. آه! حاول أن تكون في حالة تأهب، وإذا جاء اللصوص، انبح بصوت عالٍ للغاية.

بعد هذا التحذير الأخير، دخل المزارع إلى منزله وأغلق الباب بالترباس، بينما بقي بينوكيو البائس الذي كان ميّتًا أكثر منه حيًّا وحيدًا يرتجف من البرد والجوع والخوف.

حاول من حين لآخر، إدخال يديه بغضب لإزالة تلك القلادة التي شدّت حنجرته بفظاعة. وبعد أن عجز، قال بينوكيو المسكين باكيًا:

- أنا أستحق هذا فعلًا! لقد أردت أن أحيا حياة الضياع والتشرد. لقد اتّبعت نصائح رفاق السوء. لقد كنت ولدًا سيئًا وعاصيًا، وهذا هو السبب في أن الله يعاقبني! لو كنت طفلًا جيدًا ومطيعًا مثل باقي

الأولاد الآخرين، لو كرّست نفسي للدراسة والعمل، لو بقيت في المنزل بجوار والدي الطيب، لما رأيت نفسي كما أراها الآن في وسط الحقل حيث يتوجب عليّ أن أخدم المزارع مثل كلب حراسة.

آه، لو أنني أولد من جديد! لكن فات الأوان، وليس هناك خيار آخر سوى التحلي بالصبر.

بعد هذا التنفيس البسيط، الذي خرج من قلبه حقًّا، دخل إلى بيت الكلب، وبعد فترة وجيزة نام.

الفصل الثاني والعشرون

يكتشف بينوكيو اللصوص، ويتم إطلاق سراحه مكافأة له على إخلاصه.

انقضت ساعتان من الزمن تقريبًا منذ أن نام بعمق، يجب أن يكون الوقت أقل أو أكثر بقليل من منتصف الليل عندما أيقظه ضجيج أصوات غريبة آتية من الخارج.

أطلّ بطرف أنفه من باب بيت الكلب، ورأى أربعة حيوانات تشبه القطط، لكنّها ذات فراء داكن، تتحادث في ما بينها.

لم تكن قططًا عادية؛ وإنما كانت عرسات، وهي حيوانات آكلة للحوم ومولعة جدًّا بالعنب والدجاج الصغير. انفصلت واحدة منها عن رفيقاتها، واقتربت من مدخل كشك الكلب، وقال:

- مساء الخير يا مورو!
- أنا لا أدعى مورو!
- من أنت إذن؟
- أنا بينوكيو.
- وماذا تفعل هنا؟
- أنا أعمل كلب حراسة.
- أين هو مورو؟ ماذا حدث للكلب الذي كان في هذا المنزل؟
- مات هذا الصباح.

- مات؟ حيوان مسكين! كم كان طيبًا! لكن، إذا حكمنا عليك من خلال وجهك، فأنت أيضًا كلب لطيف.
- اسمح لي: فأنا لست كلبا.
- ما أنت إذن؟
- دمية.
- وتعمل كلب حراسة؟
- لسوء الحظ؛ أنفذ عقوبة.
- حسنٌ؛ إذن سأقترح عليك نفس الاتفاق الذي أبرمته مع المتوفى مورو، وأؤكد لك أنك ستكون سعيدًا.
- ما هو هذا الاتفاق؟
- سنأتي إلى هنا مرة واحدة في الأسبوع، كما كنّا نفعل من قبل، سندخل قن الدجاج ونأخذ ثماني دجاجات، من بين هذه الدجاجات الثمان، سبع ستكون لنا، والثامنة سنعطيها لك بشرط أن تقوم بالنوم ولا تفكر في أن تنبح ولا أن توقظ صاحب البيت.
- هل كان مورو يفعل هكذا؟
- أعتقد ذلك! كنّا دائمًا على تفاهم تام. لذا ارقد أنت الآن بهدوء، وكن على ثقة بأننا قبل مغادرتنا هذا المكان، سنترك لك في كشك الكلب، دجاجة منتوفة جيدًا كي تتغذّى بها غدًا. هل نحن متفقون؟
- أعتقد ذلك!

واستمر في هز رأسه، كما لو كان يتوعّد، ويقول ستتم تسوية الحسابات قريبًا.

عندما اعتقدت العرسات الأربعة أن كل شيء تم ترتيبه، سارت باتجاه قن الدجاج، الذي كان بجانب كشك الكلب، وبعد فتح الباب الخشبي الذي يُغلق المدخل بقوة الأظافر والأسنان، دخلت بصمت الواحدة تلو الآخرى، وما إن انتهت من الدخول، حتى شعرت أن الباب يغلق خلفها بعنف شديد.

لم يكن بينوكيو راضيًا عن إغلاق الباب على هذا النحو، لذلك ومن أجل مزيد من الأمان، وضع حجرًا كبيرًا أمامه ليجعله كدعامة.

ثم بدأ النباح، هَاو! هَاو! هَاو! بكل ما أوتي من قوة، وبقدر كبير من الحرفيّة، لدرجة الاعتقاد بأنه كان كلبًا حقيقيًا.

عندما سمع النباح، قفز المزارع من السرير وأخذ بندقية، وأطلّ من النافذة متسائلًا:

- ماذا يحدث؟
- اللصوص موجودون هنا! أجاب بينوكيو.
- أين؟
- في قن الدجاج!
- سأنزل بسرعة!

وبالفعل، نزل المزارع، ودخل قن الدجاج، وبعد الإمساك بالعرسات الأربعة ووضعها في كيس، قال بنبرة تعكس الرضا:

- أخيرًا وقعتم في يدي! يمكنني أن أعاقبكم لو أردت ذلك؛ لكنني لست انتقاميًّا. سوف أقوم غدًا بنقلكم إلى منزل جاري صاحب النزل، ليسلخكم ويطهوكم كما لو كنتم أرانب، وهذا شرف لا تستحقونه،

لكـن الرجـال الكرمـاء مثلـي لا يحملـون ضـغينة ضـد التفاهـات مـن أمثالكم.

ثم اقترب من بينوكيو وداعبه كثيرًا وسأله:

- كيف تمكنت من اكتشاف مؤامرة هؤلاء اللصوص الأربعة؟ مع العلم أن مورو، كلبي المخلص مورو، لم يستطع تحقيق ذلك.

كـان بإمكـان بينوكيـو أن يقـول كـلّ مـا يعرفـه، وأن يخـبره عـن الاتّفـاق المخزي الذي عقده الكلب مع العرسات؛ لكـن تـذكّر أن الكلـب قـد مـات، فقال في قرارة نفسه: «لماذا أتهم شخصًا ميتًا؟ هـذا لـن يحقـق لـي أي غـرض، ومن الإحسان عدم الكشف عن خيانته».

- هل كنت مستيقظًا عند وصول العرسات، أم كنت نائمًا؟

- كنت نائمًا، لكن العرسات أيقظتني بحديثها، واحدة منهن جـاءت إلـى الكشك وقالت لي: إذا وعدتنا بعدم النبـاح أو إيقـاظ المالـك، فسـوف نقدم لك دجاجة منتوفة جيدًا.

يا إلهي! لا أمتلك الوقاحة الكافية لأقوم بتنفيذ مثل هذا الاقتراح!

فأنا يمكن أن أكون دمية لديها كل عيوب العالم، لكنـي غيـر قـادر علـى ارتكاب جريمة أو جعل نفسي مساويًا لأولئك الحقراء السيئين.

- أنت فتى طيب! (قال المزارع وهو يربت على كتفه) تلك المشاعر تزيـد من قدرك؛ ولكي أثبت لك مدى رضائي عنك، فمن هذه اللحظة أنـت حـر في العودة إلى منزلك.

وعلى الفور قام بإزالة طوق الكلب عنه.

الفصل الثالث والعشرون

بينوكيو يبكي على وفاة الفتاة الجميلة ذات الشعر الأزرق. ثم يجد حمامة تنقله إلى شاطئ البحر، وهناك يلقي بنفسه في الماء لينقذ والده.

حالما شاهد نفسه حرًّا من تلك القلادة المزعجة جدًّا، انطلق بينوكيو راكضًا عبر الحقول، ولم يتوقف لحظة إلى أن وصل إلى الطريق الرئيسي الذي كان سيأخذه إلى منزل الجنيّة الصغير.

بمجرد وصوله إلى الطريق، كان بإمكانه من بعيد رؤية الغابة حيث التقى، لسوء الحظ، بالثعلبة والقط. رأى أيضًا من بين الأشجار الأخرى، القمة العالية لتلك البلّوطة الضخمة التي عُلّق فيها من رقبته. لكنّه لم يستطع العثور على منزل الفتاة الجميلة ذات الشعر الأزرق رغم أنّه نظر إلى أبعد مدى من جانب إلى آخر.

لذلك انتابته مشاعر الحزن، تابع الركض بكل قوّة سمحت له بها ساقاه، وفي غضون دقائق قليلة وصل إلى المرج حيث كان ينتصب المنزل الأبيض. لكن المنزل الأبيض الصغير لم يعد موجودًا هناك.

في مكانه كان يوجد قبر رخامي فوقه صليب، كتبت عليه العبارة التالية:

هنا ترقد

الفتاة ذات الشعر الأزرق،

التي ماتت من الألم
بسبب هجر أخيها
بينوكيو لها
ف.ش.ا
آمين..

يمكنكم التفكير؛ كيف أصبحت حال بينوكيو لدى تهجئة هذا النقش بعد كثير من الجهد.

سقط على الأرض منكبًّا على وجهه، وغطى رخام القبر بالقبلات، وبدأ البكاء بحرقة.

بقي على هذا النحو طوال الليل، وفي صباح اليوم التالي كان لا يزال يبكي، على الرغم من أنّ عينيه لم تعودا تفيضان بالدموع. كان صراخه ونحيبه عاليين وصاخبين لدرجة أن صداهما كان يتردد في التلال القريبة.

كان يبكي ويقول:

«آه، أيتها الجنيّة الجميلة! يا أختي الصغيرة! لماذا متِّ؟ لماذا لم أمت أنا بدلًا عنك؟ أنا الذي كنت سيئًا جدًّا، بينما أنت طيبة جدًّا! وأبي، أين هو؟ أيتها الجنيّة الجميلة! أخبريني أين يمكنني أن أجده؟ لأنني الآن أريد أن أكون بجانبه ولا أتركه أبدًا أبدًا! قولي لي إنك لم تموتي! إذا كنت تحبينني حقًّا، إذا كنت تحبين كثيرًا أخاك الصغير، تعالي إلى جانبي كما كنتِ من قبل! ألا تشعرين بالحزن لرؤيتي وحيدًا وقد هجرني الجميع؟ إذا جاء اللصوص الآن، سيعلقونني مرة أخرى في البلّوطة الضخمة، وهذه المرة سأموت إلى الأبد!

ماذا سيحصل لي؟ أنا وحيد في الدنيا! من سيطعمُني الآن؟ لقد فقدتك وفقدت أبي المسكين! الذي كنت سأعطيه سترة جديدة! آه، كم سيكون أفضل لو أني متُّ أيضًا! نعم! أريد أن أموت! إهئ... إهئ... إهئ».

كان ينوح بهذه الطريقة، ويحاول في بعض الأحيان أن يشد شعره؛ لكن بما أنه كان من خشب، فلم يكن يملك القدرة حتّى على تخريب تصفيفة شعره للتنفيس عن يأسه.

في تلك اللحظة، حلّقت حمامة كبيرة للغاية، وتوقفت في الهواء بأجنحتها الممدودة، وصاحت من علوٍ كبير:

- أخبرني يا فتى: ماذا تفعل هناك، على الأرض؟
- كما ترين؛ أنا أبكي! (قال بينوكيو وهو يرفع رأسه إلى ذلك الصوت ويمسح عينيه بأكمام سترته).

تابعت الحمامة متسائلة: قل لي، ألا تعرف ولو عن طريق الصدفة دمية بين أصحابك يدعى بينوكيو؟

وقف بينوكيو على الفور وقال: بينوكيو؟ هل قلتِ بينوكيو؟ أنا بينوكيو!

عندما سمعت الحمامة هذا الرد، هبطت بسرعة وجاءت لتحط على الأرض. كانت أكبر من الديك الرومي.

- إذن تعرف جيبيتو.
- نعم أنا أعرفه! حسنٌ، إنه والدي! هل حدّثكِ عني؟ هل ستأخذينني إلى حيث يوجد؟ هل ما زال حيًّا؟ اعملي معروفًا وأجيبيني! هل هو حي؟

- لقد تركته منذ ثلاثة أيام عند الشاطئ، عند شاطئ البحر!
- ماذا كان يفعل؟
- كان يقوم ببناء قارب لعبور المحيط، لقد مضت أكثر من أربعة أشهر والعجوز المسكين يقوم بالتجوال في البلاد من مكان إلى آخر بحثًا عنك؛ وبما أنه لم يتمكن من العثور عليك حتى الآن فقد وضع نصب عينيه الذهاب إلى البلدان البعيدة والبحث عنك في العالم الجديد.
- كم هي المسافة من هنا إلى ذلك الشاطئ؟
- أكثر من ألف كيلومتر.
- ألف كيلومتر! آه أيتها الحمامة الجميلة! كم كنت سأصبح سعيدًا لو أنّ لدي أجنحة مثل التي لديك!
- إذا كنت تريد الذهاب، سآخذك.
- كيف؟
- سأحملك فوق ظهري كالحصان. هل وزنك ثقيل؟
- وزني ثقيل؟ ماهذا الكلام! أنا خفيف مثل الريشة!

ومن دون أن يقول أكثر من ذلك قفز بينوكيو فوق الحمامة، ووضع ساقيه على جانبيها مثل الفرسان على ظهر الخيول، وهتف فرحًا:

- اركض، أيها الحصان الصغير، اركض! أنا متشوق للوصول بسرعة!

أقلعت الحمامة، وفي غضون دقائق قليلة ارتفعت كثيرًا لدرجة أنهما لامسا الغيوم تقريبًا. عند الوصول إلى هذا الارتفاع غير العادي، أصبح عند بينوكيو

فضول للنظر إلى الأسفل، فأطلّ برأسه؛ لكنه شعر بشيء من الخوف والدوار، وحتى لا يسقط، اضطر إلى إمساك رقبة حصانه الريشي بكلتا ذراعيه.

طارا طوال اليوم، وعند حلول الليل قالت الحمامة:

- أنا عطشى جدًا!
- وأنا جائع جدًا!
- سنتوقف لبضع دقائق في برج الحمام هذا، وبعد ذلك سنواصل رحلتنا من جديد، لنكون في الفجر عند شاطئ البحر.

دخلوا برج حمام كان مهجورًا، ولحسن الحظ وجدوا فيه وعاء به ماء وسلّة ممتلئة بالخرّوب[1].

طوال حياته كان بينوكيو يصاب بالغثيان وتقلب معدته كما يقول عندما يتناول الخرّوب. لكن في تلك الليلة أكل إلى أن أصبح غير قادر على تناول المزيد، وعندما كاد أن ينتهي منه تقريبًا، التفت إلى الحمامة قائلًا:

- لم أكن أصدق أن الخرّوب لذيذ جدًّا!

(1) شجرة الخروب: شجرة قديمة دائمة الخضرة وارفة الظلال، تنتج ثمارًا تشبه البازلاء، بذورها لمّاعة، ذات لون غامق أو باهت، مذاقها سكري ويستخرج منها شراب حلو المذاق يسمى «الرُب» يضاف أحيانا إلى العصيدة.

أجابت الحمامة: عليك أن تقنع نفسك أيها الفتى أنه عندما يقول الجوع «أنا هنا!»، وليس هناك شيء آخر لتناوله، حتى حبوب الخرّوب تصبح رائعة. الجوع الحقيقي ليس له أهواء أو تفضيلات.

بعد انتهاء هذه الوجبة الخفيفة، واصلا مجددًا الرحلة والطيران! وفي صباح اليوم التالي وصلوا إلى الشاطئ.

تركت الحمامة الدمية على الأرض، وسرعان ما طارت إلى أن اختفت، آخذة معها عدم اهتمامها، حتى إنها لم تنتظر بينوكيو كي يقدم لها الشكر.

كان الشاطئ يعجُّ بالناس الذين يصرخون ويشيرون ناظرين نحو البحر.

سأل بينوكيو امرأة عجوزا: ما الذي يحدث؟

- الذي يحدث هو أن أبًا مسكينًا فقد ابنه، قد ركب في قارب للذهاب إلى الجانب الآخر من البحر بحثًا عنه؛ لكن البحر اليوم سيئ للغاية، بحيث أن المركب سينتهي بالغرق.
- أين القارب؟
- انظر بعيدًا هناك، مقابل إصبعي (قالت المرأة العجوز مشيرةً إلى قارب صغير في البحر، بدا من تلك المسافة وكأنه قشرة جوز تحمل بداخلها رجلا صغيرا).

تبع بينوكيو بعينيه الاتجاه المشار إليه، وبعد النظر بتركيز أرسل صرخة حادة، قائلًا:

- هذا والدي! إنه أبي!

في الوقت نفسه، أصبح القارب فريسة لعاصفة غاضبة، وبمجرد اختفائه بعد موجة عالية، عاد ليطفو مرة أخرى. بينوكيو الواقف، فوق صخرة أعلى من باقي الصخور، لم يتوقف عن مناداة والده والتلويح له بذراعيه ومنديله وحتى بقبعته.

من ناحيته، بدا أن جيبيتو، قد تعرّف على ابنه على الرغم من كونه بعيدًا عن الشاطئ، لأنه رفع قبعته في الهواء محييًا، وبعد كثير من الإشارات، ألمح ضمنيًّا إلى أنه كان يرغب في العودة إلى الشاطئ، ولكن البحر صار هائجًا، لدرجة أنه لم يسمح له باستخدام المجاديف للوصول إلى البر.

فجأة جاءت موجة رهيبة جعلت القارب يختفي.

انتظروا أن يعود ويطفو، لكنه لم يعد يرى بعد ذلك.

«أيها المسكين!» قالها حينئذٍ الصيادون الذين تجمعوا عند الشاطئ، والذين بدؤوا يغادرون بحزن بالغ إلى بيوتهم، لكن لمّا سمعوا صرخة يائسة التفتوا فرأوا فتىً يرمي نفسه في البحر من أعلى الصخرة، ويصرخ:

- أريد إنقاذ أبي!

ولأن بينوكيو كان من خشب، فقد طاف بسهولة وسبح مثل سمكة.

وسرعان ما شوهد يختفي تحت الماء، مدفوعًا بقوة الأمواج، ثم يعود من جديد للظهور بذراع واحدة أو ساق، مبتعدًا باستمرار عن الشاطئ، إلى أن غاب أخيرًا عن الرؤية.

الفصل الرابع والعشرون

يصل بينوكيو إلى جزيرة النحل المجتهد ويعثر على الجنية.

ظلّ بينوكيو يسبح طوال اليوم دون توقف، متسلحًا بأمل الوصول في الوقت المناسب لإنقاذ والده المسكين إلى أن حلّ الظلام.

لكنها كانت ليلة فظيعة! أمطرت بغزارة، وسقط البرَد، وأرعدت، وكان البرق كضوء النهار.

عند طلوع الفجر، شاهد عن بعد بقعة من اليابسة. كانت جزيرة في وسط البحر.

عندئذٍ وجّه كل جهوده للوصول إلى ذلك الشاطئ، لكن دون جدوى؛ إذ تدافعت الأمواج الواحدة تلو الأخرى وسحبته كما لو كان قشة.

لحسن حظه، في النهاية جاءت موجة ضخمة ودفعته بقوة كبيرة جعلته يسقط على رمال الشاطئ.

كانت الصدمة قوية جدًّا لدرجة أنه عندما سقط على الأرض تحطمت جميع أضلاعه ومفاصله؛ لكنه واسى نفسه جراء هذا السقوط قائلا:

- لقد نجوت هذه المرة أيضًا!

في تلك الأثناء، هدأت السماء شيئًا فشيئًا، وسطعت الشمس بكل روعتها، وصار البحر هادئًا كأنه طوف من الزيت.

بعدئذٍ، نشر بينوكيو بزّته في الشمس كي تجف، وبدأ النظر لمعرفة ما إذا كان هنالك أي قارب صغير، في أنحاء صفحة المياه الهائلة تلك. لكنه لم يستطع رؤية أي شيء آخر غير السماء والبحر، ومن حين لآخر أشرعة سفن بعيدة.

عندها قال: سأتحقق من اسم هذه الجزيرة بأقل وقت ممكن لأرى ما إذا كانت مسكونة بأناس طيبين. بمعنى؛ أناس ليس لديهم عادة تعليق الأطفال بالأشجار. لكن، من سأسأل عن هذا الأمر، إذا لم يكن هناك أحد؟ سبّبت له فكرة أن يكون وحده تمامًا في ذاك المكان غير المأهول حزنًا شديدًا لدرجة أنه شعر بالرغبة في البكاء؛ لكن في تلك اللحظة رأى سمكة ضخمة تسبح بهدوء وتمر بالقرب من الشاطئ، مخرجة جُلّ رأسها من الماء تقريبًا.

ولعدم معرفة بينوكيو بكيفية مناداتها باسمها، ولجعلها تسمع بشكل أفضل، صاح بكل القوة التي في رئتيه:

- مهلًا، يا سيدة سمكة! هل تريدين الإصغاء إليّ ولو لدقيقة؟
- دقيقتين حتى! (أجابت السمكة، التي كانت في الواقع دلفينًا محترمًا ومهذبًا للغاية، ولا يوجد سوى عدد قليل مثله في بحار العالم).
- هل من الممكن أن تخبريني ما إذا كانت هناك بلدة في هذه الجزيرة، حيث يمكنني الأكل دون التعرض لخطر أن أؤكل؟

أجاب الدلفين: يمكنك أن تكون هادئًا، وستجد واحدة بالقرب من هنا.

- وما الطريق الذي يجب أن أسلكه للوصول إلى هذه البلدة؟

- عليك أن تسلك هذا المسار الضيق الموجود على اليسار وتستمر دائمًا في السير للأمام باتجاه أنفك. لن تضيع.
- أخبريني عن شيء آخر يا سيدتي. أنت تتجولين في البحر ليلًا ونهارًا، ألم تعثري بالصدفة على قارب صغير للغاية، ذهب فيه والدي؟
- ومن هو والدك؟
- إنه أفضل أب في العالم، تمامًا كما أنني أسوأ ولد يمكن الحصول عليه.

أجاب الدلفين: مع عاصفة الليل، سيكون القارب قد تحطم بالتأكيد.

- وأبي؟
- أثناء ذلك سيكون قد ابتلعه تنين البحر الرهيب الذي أدى منذ عدة أيام، إلى الإبادة والخراب في هذه المياه.
- هل هذا التنين كبير جدًّا؟ (سأل بينوكيو الذي بدأ يرتجف بالفعل من الخوف).
- نعم إنه كبير. وحتى تتمكن من تكوين فكرة، سأخبرك أنه أكبر من منزل مكون من خمسة طوابق، وفمه واسع وعميق للغاية، بحيث يمكن أن يدخل فيه بسهولة، قطار مع آلته وكل شيء.
- يا له من رعب! (صرخ بينوكيو وهو خائف للغاية).

وفجأة أصبح في عجلة من أمره للمغادرة، فخلع قبعته وقال وهو ينحني تبجيلًا للدلفين: أراكِ لاحقًا يا سيدة سمكة؛ آسف على الإزعاج، وشكرًا جزيلًا على لطفكِ وتهذيبكِ.

قال ذلك، وسلك المسار الذي أشار إليه الدلفين؛ بدأ السير بخطوات رشيقة؛ شديدة الرشاقة، عدوًا أكثر منها مشيًا، كالسلوقي.

حالما شعر بضجة خفيفة، أدار رأسه لينظر إلى الوراء، خائفًا من أن يتبعه ذلك التنين الرهيب، الذي هو بحجم منزل من خمس طوابق وبفم كبير قادر على ابتلاع قطار بأكمله، مع آلته وكل شيء.

بعد أن سار لأكثر من نصف ساعة، وصل إلى بلدٍ يُدعى «بلد النحل المجتهد»، كان الطريق مكتظًا بالأشخاص المنشغلين الذين يركضون من مكان إلى آخر للوفاء بالتزاماتهم؛ الكل يعمل، والكل لديه أشياء للقيام بها دائمًا، لذلك؛ وحتى مع تسليط الضوء، لم يكن من السهل العثور على شخص عاطل أو كسول.

قال الوقح بينوكيو: يا للشر! هذا البلد لا يصلح لي! أنا لم أخلق للعمل! في هذه الأثناء بدأ الجوع يعذّبه، لأنه قضى أكثر من أربع وعشرين ساعة دون أن يتذوق لقمة؛ ولا حتى القليل من الخرّوب.

ما العمل؟ من أجل تناول وجبة إفطار، لم يكن هناك سوى وسيلتين: البحث عن عمل أو طلب صدقة.

إن طلب الصدقات يشعره بالخجل، لأن والده كان يخبره باستمرار أن المسنين وعديمي الفائدة أو المرضى، هم فقط من يحق لهم طلب

الصدقات. إنّ الفقراء الحقيقيين الذين يستحقون الرحمة والمساعدة، هم فقط أولئك الذين يصبحون غير قادرين على كسب لقمة الخبز بعرق جبينهم بسبب تقدم العمر أو المرض.

الباقون كلهم مجبرون على العمل بطريقة أو بأخرى، وإذا لم يعملوا وجاعوا، فسيكون هذا بسبب خطئهم.

في تلك اللحظة، عبر الطريق رجل متعب، يتعرّق، إذ كان يجرّ وحده عربتين محملتين بالفحم.

بدا لبينوكيو أن لدى ذلك الرجل، وجه امرئ طيب للغاية، فاقترب منه وقال:

- هل تريد أن تتصدق عليّ بقليل من الخبز؟ لأنني أتضور جوعًا.
- ليس فقط القليل من الخبز (أجاب الفحّام).

سأعطيك أربعة، إذا ساعدتني في نقل عربتي الفحم هاتين إلى منزلي.

أجاب بينوكيو الذي شعر بالإهانة: ولا بأي شكل! أنا لا أصلح للعمل حمارًا. لم أجر عربة في حياتي قط.

- هذا أفضل لك، (أجاب الفحّام، ثمّ تابع):
- إذن يا بني، إذا كنت جائعًا فتناول كمية كافية من كبريائك، واحرص على أن لاتصاب بعسر الهضم.

بعد ذلك ببضع دقائق مرّ على الطريق عامل بناء، يحمل على كتفه سلة من الجير.

- أيها الرجل الطيب، هل لديك قطعة خبز للتصدّق على فتى فقير يتضوّر جوعًا؟
- بكل سرور، تعال معي وساعدني في حمل الجير، وبدلًا من قطعة الخبز سأعطيك خمسا.
- ولكن الجير ثقيل للغاية، وأنا لا أريد أن أتعب نفسي.
- حسنٌ، إذا كنت لا تريد أن تتعب نفسك، فلتعش فقيرًا، وبالهناء يا بني.

في أقل من نصف ساعة، مرّ عشرون شخصًا آخر، ومنهم جميعًا طلب بينوكيو الصدقات؛ لكنهم أجابوا:

- ألا يشعرك هذا بالخجل؟ بدلًا من أن تكون كسولًا على الطريق، من الأفضل لك البحث عن عمل لتكسب الخبز.

أخيرًا، مرّت امرأة صغيرة تحمل إبريقين من الماء.

- هل تصنع سيدتي معروفًا، بأن تدعني أشرب رشفة ماء من الإبريق؟

(قال لها بينوكيو الذي كان يحترق من شدة العطش).

- اشرب ما تشاء يا بني، (قالت المرأة الصغيرة وهي تضع الأباريق على الأرض).

عندما كان بينوكيو يشرب مثل إسفنجة، مرر ظاهر كفه على شفتيه وهو يثرثر:

- لقد أطفأتُ عطشي بالفعل، من يستطع أن يفعل الشيء نفسه مع جوعي؟

عند سماع هذه الكلمات، أخبرته المرأة الصغيرة الطيبة في الحال:

- إذا ساعدتني في إحضار أحد هذه الأباريق إلى منزلي، فسوف أعطيك قطعة خبز جيدة.

نظر بينوكيو إلى الإبريق، لكنه لم يرد.

- بالإضافة إلى الخبز، سأعطيك طبقًا جيدًا من القرنبيط بالزيت والخل (أضافت المرأة الطيبة).

ألقى بينوكيو نظرة أخرى على الإبريق، لكنه لم يرد أيضًا.

- وبعد القرنبيط سأعطيك حلوى مليئة بالكريمة.

عند سماع مثل هذا الاقتراح المغري، لم يعد بإمكان بينوكيو مقاومة شرهه، وقال بتصميم وحزم:

- صبر جميل؛ سأحمل الإبريق إلى المنزل!

نظرًا لأن الإبريق كان ثقيلًا جدًّا بحيث لا يمكنه حمله بيده، اضطر بينوكيو لوضعه على رأسه.

عندما وصلا إلى المنزل، أجلست المرأة الطيبة بينوكيو على طاولة صغيرة مغطاة بملاءة نظيفة للغاية، ووضعت عليها الخبز، والقرنبيط المتبل وحلوى الكريمة.

لم يأكل بينوكيو، بل التهم؛ بدت معدته وكأنها غرفة فارغة غير مأهولة منذ حوالي خمسة أشهر.

لمّا هدأ الجوع المفترس الذي كان يقطّع معدته، رفع رأسه ليشكر المحسنة، لكنه حالما نظر إليها، شعر بالذهول. صارت عيناه مفتوحتين بشكل غير اعتيادي، وظلّت الشوكة في الهواء وفمه ممتلئ بالخبز والقرنبيط.

– ماذا حدث لك؟ (قالت المرأة الطيبة مبتسمة).

أجاب بينوكيو بهذيان: لأنّ... لأنّ... أعتقد أنني أحلم! حضرتك، هل تذكرينني! نعم، نعم؛ نفس الصوت... نفس العينين... نفس الشعر! نعم، نعم...؛ حضرتك لديك أيضًا الشعر الفيروزي الأزرق مثلها! آه أيتها الجنيّة الجميلة! آه يا أختي، قولي لي بأنك أنت، أنت نفسك! لا تجعليني أبكي أكثر! آه لو تعلمين كم بكيت وكم عانيت!

بكى بينوكيو عند قول ذلك، بشكل غير معقول، وجثم على ركبتيه وعانق المرأة الصغيرة الغامضة.

الفصل الخامس والعشرون

بينوكيو يَعِد الجنّية بأن يكون طيبًا ويدرس.

في البداية أنكرت المرأة الصغيرة حقيقة أنها هي الجنّية ذات الشعر الأزرق، لكن لاحقًا بعد أن وجدت أنّ بينوكيو كشفها، لم تعد ترغب في مواصلة المزاح لمدة أطول، فأعلنت عن نفسها، وقالت لـ بينوكيو:

- أيها المكّار! كيف استطعت التخمين بأنّ الجنّية هي أنا؟
- لأنني أحبك كثيرًا!
- هل ما زلت تذكرني؟ تركتني وأنا لا أزال طفلة، والآن تجدني وقد أصبحت امرأة؛ على الأغلب، يمكن أن أصبح والدتك.
- أنا سعيد للغاية، لأنه بدلًا من أختي الصغيرة سأناديك أمي. لقد مضى وقت طويل منذ أن أردت أن يكون لي أم مثل باقي الأطفال الآخرين!
- ستكون لديك إذا عرفت كيف تستحق ذلك.
- حقًا؟ ماذا يمكنني أن أفعل لأستحق ذلك؟
- شيء بسيط للغاية؛ تعتاد على أن تكون فتى طيبا.
- أنا لست كذلك؟
- كلا، أنت لست كذلك. الأطفال الطيبون مطيعون؛ لكن أنت...
- أنا لا أطيع أبدًا.
- الأولاد الطيّبون يحبّون الدراسة والعمل؛ لكن أنت...

- أنا، بالمقابل، كسول ومتشرد على مدار العام.
- الأطفال الطيبون يقولون الحقيقة دائمًا.
- وأنا أقول الأكاذيب.
- الأطفال الطيبون يذهبون إلى المدرسة بكل سرور.
- أمّا أنا فالمدرسة تسبب لي الصداع. لكن من الآن فصاعدا أريد تغيير حياتي.
- هل تعدني بذلك حقًا؟
- أعدك! أريد أن أكون طيبًا جدًّا وأريد أن أكون عونًا لأبي، أين سيكون والدي المسكين في هذا الوقت؟
- لا أعلم.
- هل ما زلت أملك حظًا لرؤيته مرة أخرى واحتضانه؟
- أعتقد ذلك، لكنني لست متأكدة.

تسبب هذا الرد برضا بينوكيو الذي أخذ يد الجنّية وبدأ تقبيلها بحماس.

ثم رفع رأسه، وسألها وهو ينظر إليها بعاطفة:

- أخبريني، يا أمي: هل صحيح أنك لم تموتي؟
- على ما يبدو.. (أجابت الجنّية مبتسمة).
- آه لو أنك تعرفين حجم الألم الكبير الذي شعرت به عند قراءة: «هنا ترقد»!

- أعرف ذلك، ولهذا سامحتك، إنّ صدق ألمك جعلني أعلم أن لديك قلبًا طيبًا، وعندما يكون للطفل قلب طيب، يمكن أن تتوقع منه شيئًا ما، حتى لو كان مؤذيًا وجامحًا إلى حد ما؛ بمعنى أنه يمكن توقع أن يعود إلى طريق الصواب، ولهذا السبب جئت لأبحث عنك هنا وسأكون أمك.
- أوه، يا سلام! (صاح بينوكيو، وهو يقفز بفرح).
- سوف تطيعني، وستفعل ما أقوله لك دائمًا.
- كل شيء، كل شيء، كل شيء وبكل سرور!
- ستذهب إلى المدرسة اعتبارًا من الغد (تابعت الجنية).

أصبح بينوكيو أقل بهجة.

- ثم ستختار الحرفة التي تريدها.

أصبح بينوكيو أكثر جديّة.

- بماذا تتمتم وتهمس؟ (سألت الجنية بلهجة تنم عن انزعاج).

تلعثم بينوكيو وقال بصوت منخفض: يبدو لي الآن أن الذهاب إلى المدرسة أصبح متأخرًا بعض الشيء.

- لا يا سيّد. الأوان لا يفوت أبدًا على التعلم واكتساب المعرفة.
- لكني لا أريد أن أتعلم أي صنعة.
- لماذا؟
- لأن العمل يتعبني كثيرًا.

قالت الجنية: يا بني، إنّ أولئك الذين يفكرون بهذه الطريقة ينتهي بهم المطاف دائمًا إمّا إلى السجن وإما إلى المستشفى. كل امرئ، سواء أوُلد فقيرًا أم غنيًّا، ملزم في هذه الحياة بأن يفعل شيئًا ما، وأن تكون له وظيفة، وأن يعمل. ويلٌ لمن يسمح لنفسه بأن يهيمن عليه الكسل! الكسل مرض خطير وقبيح للغاية، وعليك علاجه بما أنك طفل لأنك عندما تكبر لن يكون هناك علاج.

هذه الكلمات تركت انطباعًا جيدًا لدى بينوكيو الذي رفع رأسه بحيوية، وقال للجنّية:

- سأدرس وأعمل وأفعل كل ما تقولينه لي، لأني أحبك كثيرًا، ولأنك يجب أن تكوني دائمًا أمي.

الفصل السادس والعشرون

يذهب بينوكيو مع زملاء الدراسة إلى شاطئ البحر لرؤية التنين الرهيب.

في اليوم التالي، ذهب بينوكيو إلى المدرسة.

تخيّلوا ما الذي جرى لتلك الفئة المشاغبة من الأولاد عند رؤية بينوكيو يدخل إلى المدرسة! كان ذلك مدعاة لضحكات ساخرة لا نهاية لها.

أحدهم فتل فمه ببلاهة ليغيظه، وآخر سحبه من سترته، وثالث أسقط قبعته من يده، وحاول أحدهم رسم شارب له بالحبر، ولم يغب الأولاد الذين حاولوا ربط قدميه ويديه بالحبال لجعله يرقص.

كان بينوكيو صبورًا في البداية، لكن عندما بدأ صبره ينفد، واجه الأكثر جرأة منهم وقال له بعدوانية:

- كن حذرًا معي! أنا لم آت إلى هنا لتسلية أي شخص! أنا أحترم الآخرين، وبالتالي أريد أن تعاملوني باحترام.
- تتحدث على المكشوف! هذا جيد أيها الخشبي..

صاح الولد بسخرية أولئك عديمي الفائدة، مما زاد في ضحكاتهم، وحاول أحدهم وهو الأكثر وقاحة وجرأة من الآخرين، الإمساك ببينوكيو من طرف أنفه، لكن لم يكن لديه الوقت الكافي، لأن بينوكيو رفع قدمه وركله على عظمة ساقه.

- آي! يا لها من قدم صلبة! (صرخ الصبي، وهو يُمسّد المكان الذي آلمه).
- وما هذه الذراع؟ إنّها أكثر صلابة من القدم! (قال آخر كان قد فاز بضربة مرفق على بطنه لأنه أراد أن يقوم بمزحة غير لطيفة مع بينوكيو).

تلك الركلة وذلك المرفق اللذان نفّذهما بينوكيو في الوقت المناسب، أكسباه تعاطف جميع أولاد المدرسة وتقديرهم؛ كلّهم أرادوا أن يصبحوا أصدقاءه، وقدموا ألف طلب للحصول على مودّته.

المعلم كان مرتاحًا له أيضًا، لأنه كان يقظًا وذكيًّا ومجتهدًا في الدروس، وكان أول من يدخل المدرسة دائمًا، وآخر من يقف على قدميه عند انتهاء الوقت.

عيبه الوحيد كان استمراره في مصاحبة أكثر الأولاد أذًى وأقلهم اجتهادًا.

كان المعلم يلفت انتباهه كل يوم، ولم تتعب الجنّية من التكرار:

- احذر كثيرًا يا بينوكيو! عاجلًا أو آجلًا، سينتهي الأمر بهؤلاء الصحبة السيئين إلى جعلك تفقد حبك للدراسة، وربما يجلبون لك بعض المصائب الكبيرة أيضًا.
- لا يهمني!

أجاب بينوكيو رافعًا كتفيه وهو يلمس جبهته بإصبع السبابة، كما لو أنه يقول: أنا أكثر ذكاء مما أبدو.

حسنٌ يا سادة، في أحد الأيام ذهب بينوكيو إلى المدرسة والتقى بعض زملائه في الصف، فاقتربوا منه وقالوا له:

- هل تعرف الخبر العظيم؟
- جاء تنين مثل جبل إلى هذا البحر!
- حقًا؟ ربما يكون هو نفسه الذي أتى عندما غرق والدي المسكين.
- نحن ذاهبون إلى الشاطئ لرؤيته. هل تريد أن تأتي؟
- لا؛ أنا أريد الذهاب إلى المدرسة.
- وبماذا تهمّك المدرسة؟ سنذهب غدًا. لن نصبح أقل فهمًا من الحمير لدرس أكثر أو أقل.
- وماذا سيقول المعلم؟
- دعه يقل! من أجل هذا يدفعون له: من أجل أن يكون هناك كل يوم.
- وأمي؟
- الأمهات لا يفقهن شيئًا على الاطلاق! (هذا ما ردده الخبثاء الصغار).
- هل تعرفون ما الذي سأفعله؟ لأسباب معينة تعلمونها ياسادة، أريد رؤية التنين؛ لكنني سأذهب بعد الانصراف من المدرسة..
- أيها الأحمق الشجاع! أجاب واحد من المجموعة. هل تعتقد أن مخلوقًا بهذا الحجم سينتظر منك رؤيته في أي وقت تشاء؟ بمجرد أن يشعر بالملل من وجوده في هذا البحر، سيغادره إلى آخر. هذا يحصل مرة واحدة فقط.

- كم من الوقت يستغرق الوصول إلى الشاطئ؟
- يمكننا الذهاب والعودة في غضون ساعة.
- إذن لنذهب إلى هناك، ولنرَ من يركض أسرع..

عند قول ذلك، ركض أولئك الجهلة مع الكتب الموجودة تحت أذرعهم عبر الحقول. كان بينوكيو أمام الجميع باستمرار: بدا وكأن لديه أجنحة على قدميه.

بين الفينة والأخرى، كان يلتفت برأسه إلى الوراء، ويسخر من زملائه المتخلفين عنه بمسافة جيدة. ضحك من كل قلبه عندما رآهم متعبين، يلهثون، ألسنتهم خارج أفواههم وممتلئين بالأتربة.

لكن التعيس لم يستطع أن يفترض في تلك اللحظة أن هذا السباق سيقوده إلى مواجهة كوارث جديدة.

الفصل السابع والعشرون

مشاجرة كبيرة بين بينوكيو ورفاقه.. أحدهم يُجرح، والشرطة تقبض على بينوكيو.

بمجرد أن وصلوا إلى الشاطئ، بدأ بينوكيو النظر بقلق إلى كامل مساحة البحر، لكنه لم يشاهد أي تنين.

كانت المياه هادئة وصافية لدرجة أنها بدت مثل مرآة ضخمة.

- أين هو التنين؟ (سأل بينوكيو ملتفتًا إلى رفاقه).
- ربما ذهب لتناول وجبة خفيفة. (قال أحدهم ضاحكًا).
- أو أنه اندس في الفراش لأخذ قيلولة. (أضاف آخر، ضاحكًا بصوت مرتفع).

أدرك بينوكيو أن رفاقه اخترعوا قصة التنين ليسخروا منه، وعندما وجد نفسه مخدوعًا، غضب كثيرًا، وقال لهم بلهجة تهديد:

- والآن، هل تريدون أن تخبروني ما الذي ربحتموه بهذه المزحة السخيفة؟
- أعتقد أننا ربحنا! -أجاب الخبثاء بصوت واحد- جعلناك تضيّع الدرس. ألا تشعر بالخجل حين تكون دقيقًا في مواعيدك باستمرار، وحين تذاكر دروسك كل يوم؟ ألا تشعر بالخجل من حشو رأسك بالكثير من الدراسة؟
- وبماذا يهمكم هذا الشيء؟

- يهمنا كثيرًا، لأننا بسببك، نظهر بشكل سيئ في المدرسة!
- لماذا؟
- لأن الأولاد الذين يدرسون يتركون أولئك الذين لا يريدون الدراسة في وضع سيئ، كما يحدث معنا. ونحن لا نريد من أي كان أن يلمّع صورته على حسابنا. أتفهم! نحن أيضا نحب أنفسنا.
- حسنٌ إذن! ما الذي يتوجّب عليّ فعله كي تكونوا سعداء؟
- أن تكره المدرسة مثلنا، وتكره الكتب والمعلم، فالثلاثة هم أكبر أعدائنا
- وماذا لو أردت مواصلة الدراسة؟
- حينئذٍ لن ننظر في وجهك، وفي الفرصة الأولى التي سوف نراك فيها، سنجعلك تدفع الثمن.
- الحقيقة هي أنكم تبعثون على الضحك! (قال بينوكيو وهو يحك رأسه).

عندئذٍ صرخ الأكبر من بين هؤلاء الأولاد وهو يحدّق في وجهه: مهلا، بينوكيو! لا تأتِ إلى هنا وتتظاهر بالجسارة! لاتتباهَ بالشجاعة والرجولة، لأنك إذا كنت لا تخاف منّا، فنحن أيضًا لسنا خائفين منك! ضع في اعتبارك أنك وحيد ونحن سبعة.

- سبعة؛ مثل الخطايا السبع المميتة[1]! (قال بينوكيو وهو يضحك بصوت مرتفع).
- هل رأيتم؟ لقد أهاننا جميعًا! أطلق علينا اسم الخطايا السبع المميتة.
- بينوكيو، انتبه لما تقوله، وإلّا..
- آه، يا للخوف! (أجاب بينوكيو، مخرجًا لهم لسانه وساخرًا منهم).
- بينوكيو، ستنتهي الأمور بشكل سيئ.
- آه، يا للخوف!
- ستعود إلى المنزل بأنف مكسور!
- آه، يا للخوف!

صاح الأكثر جرأة. ناوله أكثر الأولاد جرأة لكمة مؤلمة على رأسه وهو يصيح: حسنٌ، الآن سترى! خذ هذه اللكمة، وتعشَّ بها هذه الليلة.

كما كان متوقعًا، لم تتأخر الإجابة: ردّ بينوكيو على هذه اللكمة بلكمة مماثلة، ومنذ تلك اللحظة أصبحت المعركة شاملة وعنيفة.

على الرغم من أن بينوكيو كان وحيدًا، فقد دافع عن نفسه كالأبطال. عملت قدماه الخشبيتان الصلبتان بطريقة جعلت أعداءه يبتعدون عنه مسافة محترمة، فقد تمكنت إحدى قدميه من الوصول إلى أحدهم، وتركت عليه كدمة للذكرى.

(1) الخطايا السبع المميتة: هي تصنيف للرذائل المذكورة في التعاليم الأولى للمسيحية لتثقيف الأتباع حول الأخلاق المسيحية الحميدة، وهي: الشهوة، الجشع، التعالي، الشراهة، الكسل، الغضب، الحسد.

عندما اقتنع الصبية السبعة بأنهم لن يتمكنوا من النيل من بينوكيو وجهًا لوجه، استخدموا القذائف. فكّوا الكتب التي كانت مربوطة بالأشرطة، وبدؤوا برميها عليه.

لكن بينوكيو، الذي كان ذكيًّا ورشيقًا، تفادى كل تلك الضربات عن طريق القفز، فكانت الكتب تسقط في البحر الواحد تلو الآخر، دون أن تصيبه. يمكنكم أن تتخيلوا الثورة التي نشبت بين الأسماك! التي اعتقدت أن الكتب كانت طعامًا يرمى إليها لتلتقطه، لكن بمجرد أن تناولت الأسماك لقمة، سارعت إلى بصق الأوراق، والعودة، ولسان حالها يقول: «آه! كم هذا سيئ! طبّاختنا تطهو بشكل أفضل».

وفي الوقت الذي كانت فيه المعركة لا تزال شرسة، خرج من الماء سلطعون كبير للغاية وسار بتكاسل على طول الشاطئ، وقال بصوت متعب:

- أيها المجانين، هذا يكفي، لا يمكن مناداتكم بطريقة أخرى! لعبة الأيادي هي للأشرار. أرى أنكم ستؤذون أنفسكم. عادة ما تنتهي هذه المعارك بعواقب وخيمة.

بدا أنّ السلطعون الطيب يضيّع وقته! بينما كان بإمكانه توفير كلامه، ثم ظهر شيطان بينوكيو الصغير، وقال بنبرة قاسية وهو ينظر للسلطعون بعينين غاضبتين:

- اخرس أيها التافه! يا لصوتك السخيف! من الأفضل لك أن تأخذ بعض الأقراص لعلاج حلقك. اذهب، اذهب، اذهب إلى السرير وحاول أن تتعرق لتشفى من نزلة البرد.

كان الفتية الباقون قد انتهوا للتو من رمي كتبهم. وعندما رأوا كتب بينوكيو هرعوا لأخذها.

من بين كتبه، كان هنالك كتاب مغلف بالورق المقوى، ملصقٌ عليه كعب وحواف من الجلد، إنه كتاب الحساب، يمكنكم أن تتخيلوا مدى ثقله!

استولى أحد الصبية على الكتاب، ورماه على رأس بينوكيو، بكل ما استطاع من قوة، لكن بدلًا من أن يصيب بينوكيو، أصاب رأس ولد آخر، فتحول وجه الولد إلى لون أبيض كالشمع وسقط على الرمال قائلًا:

- آي، يا أمي! أنا... أموت!

عند رؤية رفيقهم جثة هامدة، ركض الفتية الخائفون واختفوا خلال لحظات قليلة.

لم يهرب بينوكيو؛ وعلى الرغم من أنه كاد يموت من الأسى والخوف، ذهب باكيًا بيأس ليغمس منديله في مياه البحر، كي يرطّب صدغَي زميل الدراسة البائس. وأثناء قيامه بهذه العملية، كان ينادي رفيقه، قائلًا:

- باكو! باكيتو! افتح عينيك وانظر إليّ! لماذا لا تجيب؟ ألا تسمعني؟ لم أكن أنا الذي تسببت لك بالأذى، هل تعلم ذلك؟ في الحقيقة لم أكن أنا، صدقني! افتح عينيك باكيتو! إذا بقيت عيناك مغمضتين هكذا فسأموت أنا أيضًا! يا إلهي! كيف يمكنني العودة إلى منزلي الآن؟ بأي وجه سأقابل أمي؟ ماذا سيحدث لي؟ أين سأختبئ؟ كان من الأفضل لو أنني ذهبت إلى المدرسة! لماذا انشغلت بهؤلاء الصحاب الذين ضيّعوني؟ لطالما نصحني المعلم وكذلك والدتي التي كانت تكرر: «احذر من الرفقة السيئة». لكنني عنيد وعاصٍ. كنت أسمع كل

نصائحها كمن يسمع صوت هطول المطر، وأنفذ دائمًا كل ما أريده دون أن أضع في الاعتبار أنه بعد ذلك يجب أن أتحمل العواقب! لهذا السبب، وفقط لهذا السبب، لم أجد ساعة من الراحة منذ أن وُجدت في هذه الدنيا! يا إلهي! ماذا سيحدث لي؟

واصل بينوكيو البكاء والرثاء ومناداة المسكين باكيتو، إلى أن شعر فجأة باقتراب أصوات خطوات.

التفت بينوكيو، ورأى اثنين من رجال الشرطة.

- ماذا تفعل هناك على الأرض؟ (سأل أحد الشرطيين).
- أنا أسعف رفيق الدراسة هذا.
- هل أصابه مكروه؟
- يبدو أنّ الأمر كذلك.

تقول يبدو أنّ الأمر كذلك! -قال الشرطي الآخر الذي انحنى وبدأ ينظر إلى باكو باهتمام- ما لدى هذا الصبي، هو أنهم جرحوه في صدغه، فمن كان الفاعل؟

- لست أنا! (تلعثم بينوكيو، وأصبح كما يقولون، دون أي قطرة دم في جسمه).
- حسنٌ، إذا لم تكن أنت الفاعل، فمن الذي جرحه؟
- لست أنا.
- بماذا جُرح؟
- بهذا الكتاب.

قال بينوكيو ذلك، وهو يلتقط من الأرض كتاب الحساب المغلف بالورق المقوى، والذي له كعب وحواف من الجلد، وأظهره لرجال الشرطة.

- لمن هذا الكتاب؟
- لي أنا.
- هذا يكفي، نحن لسنا بحاجة لمعرفة المزيد! قف على قدميك وتعال معنا.
- ولكن أنا...!
- تعال معنا!
- لكن أنا بريء!
- حسنٌ، حسنٌ؛ تعال معنا واصمت!

قبل مغادرتهم، نادى رجلا الشرطة على بعض الصيادين الذين كانوا يمرّون بقاربهم بالقرب من الشاطئ، وقالا لهم:

- سنترك لكم هذا الصبي الذي أصيب في رأسه، لكي تأخذوه إلى بيتكم وتعتنوا به. وغدا سنأتي إلى هنا لرؤيته.

ثم تحولا إلى بينوكيو، ووضعاه بينهما، وقالا له بصوت خشن: «امشِ، بخطوة سريعة! إذا لم تفعل ذلك، فسوف نجعلك تمشي بشكل مختلف!». لم يجعلهم بينوكيو يكررون القول، وبدأ السير عبر الدرب المؤدي إلى البلدة؛ لكن الشيطان المسكين الذي لم يكن يعرف شيئًا عن المكان التي يوجد فيه ظنّ أنه يحلم. لكنه كان حلمًا رهيبًا! بالكاد كان يرى ما يحيط به، كانت قدماه ترتجفان وفمه جافّا ولسانه يلتصق بحلقه، لدرجة أنه لم يستطع قول ولو كلمة واحدة. ومع ذلك، ففي خضم هذا الفقدان للوعي، ظلّ يفكر

بشيء محدد يسبب له الحزن والألم؛ أنه سيتوجب عليه المرور من تحت نافذة جنيّته الطيبة وهو محاط بهذين الشرطيين.

كان يفضل الموت على ذلك!

كانوا على وشك الدخول إلى البلدة عندما انتزعت هبّة ريح قويّة الطاقية من على رأس بينوكيو ورمتها على بعد عشر خطوات أو اثنتي عشرة خطوة.

- هل تسمحون لي حضراتكم بالذهاب لالتقاط طاقيتي؟
- اذهب بسرعة.

ذهب بينوكيو لالتقاط الطاقية؛ لكن بدلًا من وضعها على رأسه، عضّ عليها بأسنانه، وركض بكل قوته نحو الشاطئ.

ذلك لم يكن دمية، بل كان رصاصة تمّ إطلاقها.

حكمَ الشرطيان بأنه سيكون من الصعب عليهما اللحاق به، لذلك أطلقا خلفه كلبًا مفترسًا كان قد فاز بالجائزة الأولى في جميع سباقات الكلاب. ركض بينوكيو كثيرًا، لكن الكلب ركض أكثر.

أطلّ الناس من النوافذ وتزاحموا على قارعة الطريق، متلهفين لرؤية نتيجة هذه المطاردة الشرسة.

لكنهم لم يتمكنوا من مشاهدتها، لأن بينوكيو والكلب أثارا سحابة من الغبار، لدرجة أنه في لحظات قليلة لم يعد بالإمكان رؤيتهما.

الفصل الثامن والعشرون

بينوكيو يواجه خطر أن يصبح مقليّا في مقلاة مثل سمكة.

خلال ذلك السباق اليائس، كانت هناك لحظات اعتقد فيها بينوكيو أنه قد ضاع، لأن شاتو (هكذا كان يدعى الكلب المفترس) قد وصل إليه تقريبًا؛ فبينوكيو لم يشعر بصوت لهاث الحيوان فقط، بل وبحرارة أنفاسه أيضًا.

لحسن الحظ أنهما كانا عند الشاطئ، وكان البحر على بعد خطوات قليلة بالفعل. عندها قفز بينوكيو قفزة رائعة (لم يكن لضفدع أن يقفز أفضل منها) وسقط في الماء. لم يرغب شاتو في المضي قدمًا؛ لكن المطاف انتهى به في البحر أيضًا مدفوعًا بزخم السباق.

لم يكن هذا البائس يعرف كيف يسبح؛ لذلك بدأ يلطم الماء بيديه ويركل للبقاء طافيًا على السطح، لكنه كلما كان يلطم الماء بشدّة وعنف، كان يزداد غرقًا.

بجهد كبير، تمكن للحظة من إخراج رأسه من تحت الماء، وصرخ نباحًا:

- النجدة! إني أغرق!
- افطس للأبد! (رد بينوكيو عن بعد، وهو بمأمن من الخطر).
- ساعدني يا بينوكيو! أنقذني من الموت، بدافع الشفقة!

عند سماع هذه المناشدات المحزنة أشفق بينوكيو ذو القلب الطيّب على الكلب، فعاد إليه وقال له:

- هل تعدني بعدم الركض خلفي، إذا ساعدتك على النجاة؟
- نعم، نعم! أعدك، لكن تعال بسرعة من فضلك لأنك إذا تأخرت دقيقة، سأموت.

لم يستطع الكلب المسكين الوقوف على قوائمه.. لقد شرب الكثير من الماء المالح، وصار منتفخًا مثل بالون. من ناحية أخرى، اعتقد بينوكيو، الذي لم يكن يثق بالنتيجة، أنه من الحكمة إلقاء نفسه مرة أخرى في البحر، فابتعد عن الشاطئ وهو يصرخ:

- وداعًا يا شاتو؛ كن طيبًا؛ تحياتي الكثيرة لعائلتك.
- وداعًا يا بينوكيو. ألف شكر على إنقاذي من الموت! لقد قدمت لي خدمة رائعة! وكل شيء له ثمن في هذه الحياة. إذا جاءت مناسبة، سأرد لك الدين.

واصل بينوكيو السباحة، مبقيًا نفسه دائمًا على مقربة من الشاطئ. أخيرًا، عندما بدا له أنه في مكان آمن؛ تطلّع نحو الشاطئ، ورأى نوعًا من التجاويف بين الصخور، يخرج من أحدها عمود طويل من الدخان، فقال لنفسه:

«لا بد أن هناك نارًا في ذلك الكهف. هذا أفضل بكثير! سأذهب لتجفيف وتدفئة نفسي. وبعد ذلك؟ بعد ذلك سيحدث ما يريده الله».

بعد أن عقد العزم، اقترب من الشاطئ؛ لكن عندما بدأ يتسلق الصخور، شعر بشيء يخرج من القاع، وهو الشيء الذي حمله وجعله يطير في الهواء.

حاول الهرب لكن بعد فوات الأوان، لأنه، بدهشة كبيرة، وجد نفسه مسجونا داخل شبكة صيد قوية، وبين مجموعة كبيرة من الأسماك من مختلف الأنواع والأحجام، كانت تتلوى بيأس.

في الوقت نفسه، رأى صيادًا قبيحًا جدًّا يخرج من الكهف، كان الصيّاد بشعًا لدرجة أنه كان يشبه وحشا بحريًّا. فبدلًا من الشعر، كان على رأسه شجيرة كثيفة من العشب الأخضر؛ كانت عيناه خضراوين، وجلده أخضر ولحيته خضراء وطويلة للغاية، بحيث تصل إلى الأرض تقريبًا.

بدا وكأنه سحلية ضخمة تسير معتدلة على قوائمها الخلفية.

عندما سحب الصياد الشبكة من البحر، صرخ بسرور عظيم:

- تبارك الله! سأتناول الأسماك اليوم بشراهة أيضًا!

لحسن الحظ أنني لست سمكة! (قال بينوكيو لنفسه، مستعيدًا نذرًا يسيرًا من شجاعته).

حُملت الشبكة مع كل الصيد الذي تحتويه إلى داخل التجويف، وهو كهف مظلم وممتلئ بالدخان، في وسطه كان يتم تسخين مقلاة زيت كبيرة، تفوح منها رائحة الشحم التي منعته من التنفس.

- دعني أرَ ما اصطدته!

ثمّ مد يده الكبيرة التي كانت بحجم مغرفة فرن في الشبكة مخرجًا قبضة من سمك السلطان إبراهيم.

تابعَ، وهو ينظر إليهم برضا كبير: «يا له من سلطان إبراهيم جيد!». ثم ألقى بها في حوض.

عاد ليكرر العملية مرةً أخرى، وكان في كل مرة يخرج قبضة من السمك يبتلع ريقه ويقول:

- سمك موسى رائع.
- سمك دينيس «سي بريم» فاخر.
- سمك سردين جميل.
- يا له من حبار!
- حسنٌ، وماذا عن هذه الأنشوجة؟ هل يجب أن تؤكل مع عظامها وكل شيء؟
- آه، يا له من قريدس لذيذ!

كما هو متوقع، فإن الحبار والقريدس وسمك موسى والسردين والأنشوجة وسمك دينيس، تم إلقاؤها في الحوض لترافق سمك السلطان إبراهيم.

ولم يتبق في الشبكة سوى بينوكيو.

عندما أمسكه الصياد بيده، فتح عينيه الخضراوين أكثر، وصرخ بدهشة وخوف تقريبًا:

- أي نوع من الأسماك هذا؟ لا أتذكر أنني أكلت سمكًا شبيهًا له!

ثمّ نظر إليه مرة أخرى، وكرر النظر إلى جوانبه الأربعة، إلى أن قال أخيرًا:

- هذا يجب أن يكون سلطعون البحر!

تألم بينوكيو عندما سمع أنه خلط بينه وبين سلطعون البحر، وقال بلهجة استياء:

- يا للغرابة! كيف تقول سلطعون؟ هذا ما كان ينقصني! أنا لست سلطعون: أنا دمية، هذا فقط للعلم يا سيدي.
- دمية! أعترف أنني لم أشاهد أي سمكة – دمية. هذا أفضل بكثير! بهذه الطريقة سوف آكلك بسرور أكبر!
- تأكلني؟ لكن يا رجل، أنا لست سمكة! ألا ترى يا سيدي أنني أفكر وأتحدث مثلك؟
- حسنٌ، هذا صحيح! على أي حال، نظرًا لأنك سمكة محظوظة بما يكفي للتفكير والتحدث مثلي، فسيكون لك عندي بعض الاحترام.
- كيف ذلك؟
- كدليل على الصداقة والاعتبار الخاص، سأتركك تختار الطريقة التي يجب أن أطهوك بها. هل تريد مني أن أقليك مع البطاطا أم تفضل صلصة المايونيز؟

قال بينوكيو: إذا كان عليّ الاختيار، فسأخبرك في الحقيقة أنني أفضّل إطلاق سراحي كي أعود إلى منزلي.

- هيّا، أنت تمزح! هل تعتقد أنني سأفوت على نفسي فرصة أكل سمكة نادرة مثلك؟ في هذه البحار لا يتم صيد سمكة – دمية كل يوم! انتظر وسترى! سأقليك في المقلاة مع جميع الأسماك الأخرى، عندها لن تستطيع الاعتراض. فالعزاء دائمًا حينما يكون القلي في صحبة.

عند سماع هذه الجملة المخيبة للآمال، بدأ بينوكيو المسكين البكاء والصراخ والأسف على حاله:

- كم كان من الأفضل لو أنني ذهبت إلى المدرسة! لقد أهمتني الصحبة السيئة، والآن سأدفع ثمن ذلك! إهئ... إهئ... إهئ.

ولأنه كان يتلوى مثل ثعبان البحر، وبما أنّه بذل جهودًا استثنائية للتخلص من أيدي الصياد، أخذ الصيّاد عودًا متينًا من القش وربط به ذراعيه وساقيه كما لو كان جرادة بحر، ثم ألقاه في الوعاء مع الأسماك الأخرى. بعد ذلك أخرج قدرًا مملوءًا بالدقيق وبدأ بتتبيل الأسماك. وبعد تغطيتهم بالدقيق من كل جانب، بدأ برميهم في المقلاة.

أول من اضطر للرقص في الزيت المغلي كان سمك دينيس المسكين؛ ثم جاء دور الحبّار؛ متبوعًا بسمك السلطان إبراهيم؛ وبعدهم السردين وسمك موسى والقريدس والأنشوجة. ثمّ جاء دور بينوكيو الذي شعر بالرعب عندما وجد نفسه قريبًا من الموت -ويالها من ميتة رهيبة!- شعر بالرعب لدرجة أنّه لم يعد يملك أي قوّة تمكّنه من الصراخ أو الشكوى.

لم يستطع المسكين أن يطلب الرحمة إلا من خلال عينيه. لكن الصيّاد الأخضر مرّغه خمس أو ست مرات بالدقيق دون أن ينظر إليه، غطّاه تمامًا من الرأس إلى أخمص القدمين، بحيث بدا وكأنه دمية من جبصين، ثم أمسكه من ساقيه، و...

الفصل التاسع والعشرون

يعود بينوكيو إلى منزل الجنية. وجبة خفيفة رائعة من القهوة بالحليب للاحتفال بنجاح بينوكيو في امتحاناته.

عندما كان الصياد يستعد لرمي بينوكيو في المقلاة، دخل كلب ضخم إلى المغارة، تجذبه رائحة السمك المقلي.

صاح الصيّاد مهددًا إيّاه، وهو لايزال ممسكًا بينوكيو بيده: اخرج من هنا! لكن الحيوان المسكين الذي كان يعاني من جوع رهيب، هدر وحرّك ذيله، كما لو كان يقول:

- أعطني بعض السمك المقلي وسأتركك بسلام.

- أقول لك أخرج من هنا! (كرّر الصياد، مادًا له ساقه وكأنه يريد ركله).

وبما أنّ الكلب كان يشعر بجوع حقيقي شديد، فإنه لم يكن خائفًا من أي شيء، بل إنه غضب من الصياد، وأظهر له الأنياب الرهيبة.

في الوقت نفسه، كان يُسمع في الكهف صوت ضعيف جدًّا، يقول:

- أنقذني، يا شاتو، لأنهم سيقتلونني.

في الحال تعرف الكلب على صوت بينوكيو، ولاحظ باستغراب شديد أنه جاء من تلك الكتلة المغمسة بالدقيق التي كان الصياد لايزال يحملها بيده. فماذا فعل بعد ذلك؟

قفز قفزة واحدة، والتقط الدمية المغمسة بالدقيق بأسنانه بلطف، ثم خرج من التجويف راكضًا بسرعة الريح.

حاول الصياد الغاضب، الذي انتزعُت منه تلك السمكة التي كان يظن أنه سيأكلها بسعادة، أن يصل إلى الكلب؛ لكنه ما إن ركض بضع خطوات، حتى أصيب بنوبة سعال جعلته يتوقف ويعود أدراجه.

في تلك الأثناء، وصل شاتو إلى الطريق المؤدي إلى البلدة، ووضع صديقه بينوكيو على الأرض.

- كم يجب أن أشكرك! (قال بينوكيو).
- لا تشكرني على الإطلاق. لقد أنقذتني أنت أيضًا، وكل عمل له جزاؤه في هذه الحياة.. علينا أن يساعد بعضنا بعضًا.
- لكن، كيف عثرت عليّ داخل هذا التجويف؟
- كنت لا أزال مستلقيًا على الشاطئ، ميتًا أكثر مني حيًّا، عندما حمل إليّ الهواء نفحة من رائحة السمك المقلي الذي فتح شهيتي على مصراعيها؛ لذا نهضت للذهاب إلى المكان الذي انبعثت منه تلك الرائحة. صحيح؛ ماذا لو أنني وصلت بعد دقيقة من ذلك التوقيت؟

قال بينوكيو الذي كان لا يزال يرتجف من الخوف: لا تقل لي هذا! لا تذكّرني به! لو أنك تأخرت في الوصول دقيقة واحدة عن هذا الوقت، لكنت أصبحتُ مقليًّا مع البطاطا! أوف! مجرد التفكير في هذا الأمر، يجعلني أرتجف.

لم يستطع شاتو إلا أن يضحك، ومد يده اليمنى إلى بينوكيو الذي صافحه بود، ثم افترقا.

سلك الكلب طريقه إلى بيته، واتجه بينوكيو إلى كوخ قريب، وطلب من رجل مسن كان يقف عند الباب أن يسمح له بتدفئة نفسه تحت أشعة الشمس.

- أخبرني أيها الرجل الطيب: هل تعلم شيئًا عن صبي أصيب في رأسه ويدعى باكيتو؟
- لقد تم جلب ذلك الفتى بواسطة بعض الصيادين إلى هذا الكوخ بالفعل؛ لكنه الآن...

«لكنه مات؟» (قاطعه بينوكيو بألم شديد).

- لا. إنه بحالة جيدة الآن، وقد عاد إلى منزله.

صرخ بينوكيو وهو يقفز من الفرح: حقًّا؟ هل هذا صحيح؟ إذن الجرح لم يكن خطيرًا؟

أجاب الرجل العجوز: لكن كان من الممكن أن يكون خطيرًا للغاية، بل ومميتًا، لأنهم ألقوا كتابًا من الورق المقوّى والسميك على رأسه.

- ومن رماه به؟
- زميله في الدراسة، يدعى بينوكيو.
- ومن هو بينوكيو هذا؟ (سأل بينوكيو متصنعًا عدم معرفته).
- يقولون إنه طفل سيئ للغاية، كسول، وكثير الأذى.
- افتراءات! كل هذه هي مجرّد افتراءات!

- هل تعرف بينوكيو؟
- بالشكل فقط.
- وما هو الانطباع الذي كوّنته عنه؟
- حسنٌ، يبدو لي أنه فتىً رائع، لديه حب كبير للدراسة، مطيع، ومحب جدًّا لوالده وللعائلة بأكملها.

بينما كان بينوكيو يقول كل هذه الأكاذيب بأكبر قدر من الانتعاش، وضع يده على أنفه، ولاحظ أنه نما أكثر من شبر.

عندئذٍ بدأ يصرخ والخوف يملؤه: لا تهتم بكل ما قلته يا سيدي، لأنني أيها الرجل الطيب، أعرف بينوكيو تمامًا، ويمكنني أيضًا أن أؤكد لكم أنه ولد سيئ، وعاصٍ وكسول، وأنه بدلًا من الذهاب إلى المدرسة يذهب مع أصحابه، ليهيموا على وجوههم!

حين انتهى من قول هذه الكلمات قصر أنفه، وعاد إلى الحجم الذي كان عليه من قبل.

- ولماذا أنت مطلي باللون الأبيض؟
- سأخبركم يا سيّدي: لقد فركتُ نفسي بحائط كان قد تمّ تبييضه حديثًا دون أن أنتبه لذلك.

أجابه بينوكيو، المُحرَج من الاعتراف بأنه قد تم غمسه بالدقيق مثل سمكة، من أجل وضعه لاحقًا في وعاء القلي.

- وماذا فعلت بالسترة، وبالسروال والقبعة؟
- قابلت بعض اللصوص الذين أخذوا مني كل شيء.

والآن أخبرني، أيها الرجل الطيب: ألا يمكنك أن تعطيني شيئًا، يمكن أن أرتديه كي أعود إلى منزلي؟

- ليس لدي يا بني أي ثوب يمكن أن أقدمه لك. لا أملك سوى كيس صغير لتخزين درنات التشوفا (مكسرات جوز النمر). انظر إليه: ها هو ذا إن كنت ترغب فيه.

لم يجعله بينوكيو يعيد كلامه مرتين، لأنه أخذ على الفور الكيس الذي كان فارغًا، وصنع له بالمقصّ الذي طلبه فتحة من الأسفل واثنتين من على الجانبين، وحوّله إلى قميص.

اتجه نحو البلدة وهو يلبس بهذه الطريقة الخفيفة؛ لكن عندما وصل إلى أوّل الطريق بدأ يتردد، وبمجرد المضي قدمًا، تراجع، وهو يقول في قرارة نفسه: كيف سأقدم نفسي إلى الجنية الطيبة؟ ماذا ستقول عنّي عندما تراني؟ هل ستسامحني على هذه الشيطنة الثانية؟ أخشى أنها لن تسامحني عليها! آه، من المؤكد لا! وأنا أستحق ذلك بكل تأكيد، لأنني دمية أتعهد دائمًا بتصحيح نفسي، ولا أفعل ذلك أبدًا.

دخل إلى البلدة حيث كان الليل شديد الظلمة؛ وبما أن السماء كانت تمطر بغزارة، فقد قرر الذهاب مباشرة إلى منزل الجنّية وطرق الباب إلى أن يفتحوا له.

عندما وصل إلى المنزل، شعر بأنه يفتقر إلى الشجاعة، وبدلًا من طرق الباب، ابتعد راكضًا حوالي عشرين خطوة. ثمّ عاد مرة أخرى، لكنه ابتعد من جديد دون أن يفعل أي شيء. ثمّ عاد للمرة الثالثة وفعل الشيء نفسه. في المرة الرابعة فقط، تجرأ على رفع سقاطة الحديد وهو يرتجف، وطرق لمرّة واحدة بشكل لطيف للغاية.

انتظر بصبر، وبعد نصف ساعة، فُتحت نافذة من الطابق العلوي (كان المنزل يتألف من أربعة طوابق) وأطلّ منها حلزون كبير للغاية يضع على رأسه شمعة مشتعلة، وسأله:

- من يدق في هذا الوقت؟
- هل الجنّية في المنزل؟
- الجنّية نائمة ولا تريد أن يوقظها أحد، فمن تكون؟
- أنا..
- من أنت؟
- بينوكيو.
- بينوكيو من؟

- الدمية التي تعيش مع الجنّية في هذا المنزل.
- أوه، الآن عرفت. انتظرني، سأنزل وأفتح لك على الفور.
- الرحمة، تعال بسرعة، لأنني ميّت من البرد.
- أنا حلزون يا بني، والقواقع ليست على عجلة من أمرها.

مضت ساعة، ومضت ساعة أخرى دون أن يُفتح الباب، وبسبب ذلك، فإنّ بينوكيو الذي كان مبتلًا بالماء تمامًا ويرتعش من البرد والخوف، استعاد طاقته ودق للمرة ثانية، لكن بقوة أشد من المرة الأولى.

عند هذه الدقة الثانية، فُتحت نافذة من الطابق الأسفل، أو بالأحرى من الطابق الثالث، وأطلّ نفس الحلزون.

صرخ بينوكيو من الشارع: حسنٌ أيها الحلزون! منذ ساعتين وأنا أنتظر، وساعتان في هذه الليلة السيئة تبدوان وكأنهما سنتان. استعجل رحمة بي.

أجاب من النافذة ذلك الحيوان الهادئ واللامبالي: «أنا حلزون يا بني! والقواقع ليست على عجلة من أمرها»، وعاد ليغلق النافذة مرة أخرى.

بعد وقت قصير دقت الساعة تعلن منتصف الليل، ثم تمام الواحدة، ثم الثانية، والباب لا يزال مغلقًا.

عندئذٍ فقد بينوكيو صبره، وأمسك السقّاطة بغضب ليضربها ضربة من شأنها أن تجعل المنزل كله يهتز؛ لكن تلك السقّاطة التي كانت من حديد،

تحوّلت إلى ثعبان أنقليس حي، انزلق من بين يديه واختفى في مجرى الماء الذي يمر عبر وسط الشارع.

صرخ بينوكيو، والغضب يملؤه على نحو متزايد: هكذا إذن، هه؟ حسنٌ، إذا اختفت السقاطة فسأواصل الدق بقوة الركلات!

وعاد إلى الوراء قليلًا، ثم ركل باب المنزل ركلة غاضبة.

كانت الضربة قوية للغاية بحيث اخترقت ساقُه البابَ حتّى منتصفها، حاول بينوكيو إخراج ساقه لكنّ كلّ جهوده كانت بلا فائدة، لأن الساق حُشرت كما لو كانت مسمارًا.

يمكنكم أن تتخيلوا كيف أصبح حال بينوكيو المسكين! كان عليه أن يقضي الليلة كاملة بقدم واحدة على الأرض وأخرى في الهواء.

أخيرًا، عندما طلع النهار، فُتح الباب.

لم يستغرق نزول ذلك الحلزون الممتاز من الطابق الرابع إلى الشارع إلّا تسع ساعات فقط، حتى إنه وصل والعرق يقطر منه.

سأل الحلزون وهو يضحك: ماذا تفعل بهذه القدم المحشورة في الباب؟

- لقد كان هذا مجرد سوء حظ حدث معي. هل ترغب في محاولة رؤية ما إذا كان بإمكانك تخليصي من هذه العذاب؟
- هذا عمل النجار يا بني، وأنا لست نجارًا.
- أخبر الجنّية عنّي.

- الجنّية نائمة ولا تريد أن يوقظها أحد.
- ولكن ماذا تريد مني أن أفعل وأنا مثبت في هذا الباب طوال اليوم؟
- تسلَّ في عد النملات التي تمشي في الطريق.
- أحضر لي شيئًا آكله على الأقل لأنني خائر القوى.
- على الفور.

بعد انقضاء ثلاث ساعات ونصف عاد الحلزون مرة أخرى، حاملًا صينية فضيّة على رأسه، وكان فيها خبز ودجاجة مشوية وأربع مشمشات ناضجة.

- ها هي وجبة الإفطار التي أرسلتها لك الجنّية.

عند رؤية هذا الطعام الممتاز، هدأ بينوكيو إلى حد ما. لكن كم كانت خيبة أمله كبيرة؛ لأنه عندما كان يحاول تناول الطعام وجد أن الخبز مصنوع من الجبصين، والدجاج من الورق المقوى، والمشمش من الشمع، على الرغم من أن كل شيء كان مصنوعًا بشكل متقن، بحيث بدا حقيقيًّا!

مملوءًا باليأس، بدأ يبكي، وأراد أن يرمي الصينية الفضية وكل ما فيها بعيدًا؛ لكنه فشل في ذلك، ولأنه كان يقع تحت تأثير الألم أو جوع المعدة، أغمي عليه.

عندما استعاد وعيه وجد نفسه ممددًا على أريكة، والجنية إلى جواره.

- سأسامحك هذه المرّة أيضًا -أخبرته الجنية- لكن يا ويلك لو عدت لتكرار شيء من أفعالك!

وعد بينوكيو بشدة أن يدرس وأن يكون جيدًا، وأوفى بوعده في ما تبقى من العام. عندما جاءت الامتحانات التي أجريت قبل العطلة، كان له شرف الفوز بالجائزة الأولى: كما أنّ سلوكه كان مرضيًا بشكل عام، لدرجة أن الجنّية أخبرته بسعادة بالغة:

- للاحتفال بانتصارك، سوف ندعو أصدقاءك لتناول وجبة خفيفة.

صار بينوكيو سعيدًا جدًّا.

أي شخص لم يشهد فرحة بينوكيو عند سماعه هذه الأخبار غير المتوقعة لا يمكنه تخيل ذلك.

ستتم دعوة جميع أصدقائه وزملائه لتناول وجبة خفيفة كان من المقرر عقدها في اليوم التالي في منزل الجنّية لإحياء الحدث الكبير، لذلك طلبت الجنية تحضير مئتي كوب من القهوة بالحليب وأربعمائة لفافة خبز مدهونة بالزبدة من الداخل والخارج.

كانت تلك الحفلة توحي بأن تكون مبهجة ومرحة للغاية؛ لكن...

لسوء الحظ، كان هناك دائمًا كلمة «لكن» في حياة تلك الدمية، يفسد معها كل شيء.

الفصل الثلاثون

يهـرب بينوكيـو مـع صـديقه هليـون إلى بلـد الألعاب.

طلب بينوكيو من الجنّية السماح له بعمل جولة في المدينة، من أجل دعوة رفاقه، فقالت له الجنّية:

- اذهب إذن لدعوة جميع أصدقائك ورفاقك لتناول وجبة خفيفة في الصباح، لكن احرص على العودة إلى المنزل قبل حلول الظلام. هل فهمت؟
- أعدك أنني سوف أرجع في غضون ساعة.
- حذار يا بينوكيو! جميع الأولاد يطلقون الوعود على الفور، لكنهم نادرًا ما يعرفون كيفية الوفاء بها.
- لكني لست مثل الآخرين: وعندما أقول شيئا ألتزم به.
- سوف نرى! لأنك إن لم تف بوعدك، فستكون في وضع سيئ للغاية.
- لماذا؟
- لأن الأطفال المخالفين يتعرضون لحوادث كثيرة.
- بالفعل! أنا أعرف ذلك، ولكوني شقيًّا جدًّا، دفعت الثمن باهظًا! لكنني الآن تغيّرت وسأصبح أفضل باستمرار.

دون إضافة أيّ كلمة أخرى ودّع بينوكيو الجنيّة الطيبة التي اتخذها أمًّا له، غادر بعدها المنزل وهو يرقص ويغني.

بعد أكثر من ساعة بقليل، تم توزيع جميع الدعوات. بعض الأولاد قبلوا الدعوة فورًا وبكل سرور؛ والبعض الآخر جعلوه يتوسلهم كي يوافقوا. ولكن عندما علموا أن الخبز الصغير الذي كانوا سيشربون معه القهوة بالحليب لن يتم دهنه بالزبدة من الداخل فقط، ولكن من الخارج أيضًا، انتهى بهم المطاف قائلين:

- حسنٌ! سنأتي، إرضاءً لك!

الآن يجدر بنا أن نعرف أنه من بين أصدقاء وزملاء بينوكيو كان هناك ولد يدعى ريكاردو، يحبه بينوكيو ويميّزه عن الآخرين. لكن الجميع كانوا يطلقون عليه لقب هليون، بسبب شخصيته الجافة والرقيقة والهزيلة التي تشبه نبات الهليون.

كان هليون هو الفتى الأشد ضراوة في المدرسة كلها، لكن بينوكيو كان يحبه كثيرًا، لذلك لم يتوقف عن الذهاب إلى منزله من أجل دعوته لتناول الوجبة الخفيفة، وبما أنه لم يجده، فقد عاد إليه مرة ثانية، ولمّا لم يجده كذلك؛ عاد إليه مرة الثالثة، لكن مشوايره ذهبت أدراج الرياح.

أين يمكنه العثور عليه؟ فتّش هنا، فتّش هناك، وأخيرًا وجده مختبئًا عند مدخل بيت أحد المزارعين.

- ماذا تفعل هنا؟ (سأله بينوكيو، وهو يقترب منه).
- أنتظر كي يصبح الوقت منتصف الليل لأغادر.

- إلى أين تغادر؟
- سأذهب بعيدًا، بعيدًا؛ بعيدًا جدًّا.
- وأنا الذي جئت ثلاث مرات إلى منزلك، باحثًا عنك!
- لماذا تريدني؟
- لأني أنتظرك غدًا في منزلي لتناول وجبة خفيفة.
- ولكن، ألم أخبرك أنني سأغادر هذه الليلة؟
- في أي وقت؟
- بعد قليل.
- إلى أين أنت ذاهب؟
- سأعيش في بلد هو أفضل بلد في العالم. هناك حيث الرخاء الحقيقي.
- وما هو اسمه؟
- يُطلق عليه اسم «بلد الألعاب». لماذا لا تأتي أنت أيضًا؟
- أنا؟ لا أستطيع.
- أنت تخطئ يا بينوكيو. صدّقني. إذا لم تأت فسوف تتأسف على ذلك يومًا ما. أين ستجد بلدًا أكثر صحة بالنسبة لنا معشر الأولاد؟ هناك لا توجد مدارس؛ هناك لا يوجد مدرسون؛ هناك لا توجد كتب. في ذلك البلد المبارك لا توجد دراسة أبدًا. لا توجد مدرسة، تمامًا مثل يوم الخميس.

هناك لديهم ستة أيام خميس في كل أسبوع ويوم أحد واحد. تخيل أن الإجازة الصيفية تبدأ في اليوم الأول من شهر يناير وتنتهي في آخر يوم من شهر ديسمبر! هذا هو البلد الذي أحبه.

- ولكن، كيف سنقضي الأيام في «بلد الألعاب»؟
- حسنٌ، باللعب والاستمتاع من الصباح وحتى المساء. ثم يذهب الواحد منّا للنوم، ويبدأ في صباح اليوم التالي مرة أخرى، ما رأيك؟
- هممم! (هزّ بينوكيو رأسه، كما لو كان يريد أن يقول: سأعيش هذه الحياة أنا أيضًا بكل سرور).
- هيّا قرر! هل تريد أن تأتي معي، نعم أم لا؟
- لا، لا، و..لا! لقد وعدت أمي أن أكون جيدًا، وأريد أن أفي بالوعد. بدأت الشمس بالغروب الآن، ولا بد لي من الذهاب. وداعًا، ورحلة موفقة.
- إلى أين تذهب بهذه السرعة؟
- إلى المنزل. أخبرتني أمي أن أعود قبل حلول الظلام.
- انتظر دقيقتين إضافيتين!
- هكذا سأتأخر!
- دقيقتين فقط.
- ماذا لو عنّفتني الجنّية؟
- دعها تعنّفك! في نهاية المطاف سوف تمل، وتصمت.
- وماذا، هل ستسير بمفردك أم مع مرافق؟

- بمفردي؟ حسنٌ، ماذا لو أن عددنا سيصبح أكثر من مائة ولد!
- هل سيقومون بالرحلة مشيًا على الأقدام؟
- لا. قريبًا ستمر العربة التي ستأخذنا من هنا إلى ذلك البلد اللذيذ.
- آه كم أتمنى لو أنّ تلك العربة تمر الآن.
- لماذا؟
- لرؤيتكم جميعًا تسيرون معًا.
- حسنٌ، انتظر لفترة أطول قليلا، لتتمكن من رؤية ذلك.
- لا، لا! أنا ذاهب إلى منزلي.
- انتظر دقيقتين إضافيتين قلت!
- لقد أضعت الكثير من الوقت. لقد أصبحت الجنّية قلقة بالفعل.
- جنّية مزعجة! هل تخشى أن تأكلك الخفافيش؟

سأل بينوكيو الذي بدا أنه مشغول البال: لكن، قل لي الحقيقة، هل أنت متأكد من عدم وجود مدارس في ذلك البلد؟

- لا أثر لها!
- ولا حتى معلمين؟
- بالمرّة!
- ولا يوجد دراسة بالإكراه؟
- لا...إطلاقًا!

قال بينوكيو وهو يبتلع ريقه بعد أن فاض فمه باللعاب: يا له من بلد جميل لم أذهب إليه قط! لكني أتخيله هكذا، يا له من بلد جميل!

- لماذا لا تأتي؟
- ليس مجديًا أن ترغب في إقناعي. لقد وعدت أمي بأن أكون فتىً حكيمًا، ولا أريد أن أنقض كلامي.
- حسنٌ، إذن وداعًا، وسلامي لجميع الأصدقاء وزملاء الدراسة.
- وداعًا هليون. أتمنى لك رحلة موفقة، استمتع بالكثير من المرح، وتذكّر الأصدقاء ذات مرة.

بعد أن قال ذلك، ابتعد بينوكيو وبالكاد سار خطوتين، كما لو كان يغادر؛ لكنه توقف فجأة، وعاد إلى صديقه ليسأله:

- لكن هل أنت متأكد حقًّا من أن كل أسبوع في هذا البلد فيه ستة أيام خميس ويوم أحد واحد؟
- متأكد جدًا!
- وهل تعرف أيضًا على وجه اليقين، أن العطلة الصيفية تبدأ في اليوم الأول من شهر يناير وتنتهي في اليوم الأخير من شهر ديسمبر؟
- بالطبع أعرف!
- يا له من بلد جميل! (كرر بينوكيو ذلك كما لو كان يواسي نفسه).

وأخيرًا، بذل جهدًا إضافيًّا وقال على عجل:

- حسنٌ، وداعًا، ورحلة سعيدة!
- وداعًا!
- متى ستذهب؟
- خلال وقت قصير.

- يا للأسف! لو انّ ساعة واحدة فقط تبقى على رحيلكم، لكنت انتظرت لأرى كيف تذهبون!
- والجنّية؟
- صار الوقت متأخرًا على كل حال، ولم يعد يهم لو عدت بعد ساعة إلى المنزل، أو قبل ساعة.
- مسكين يا بينوكيو! وماذا لو عنّفتك الجنية؟
- أووووف، سوف تمل في نهاية المطاف، وتصمت.

في غضون ذلك؛ أظلمت تمامًا، وبعد فترة وجيزة شاهدا ضوءًا يتحرك من بعيد، وسمعا أصوت أجراس صغيرة وصوت مزمار، لكنه كان ضعيفًا جدًّا، بحيث بدا وكأنه صوت أزيز.

وقف هليون على قدميه وصاح: ها هي!

- من هي؟

العربة التي جاءت أخيرًا من أجلي؛ هل ستأتي معي، أم لا؟

- لكن، هل حقًّا، وبحق، أنه في ذلك البلد، لايتوجب على الأطفال الدراسة؟
- أبدًا، أبدًا، أبدًا!
- يا له من بلد جميل! يا له من بلد جميل.

الفصل الحادي والثلاثون

بعد خمسة أشهر من الكسل، يلاحظ بينوكيو باستغراب شديد أنّه قد ظهر له زوج رائع من آذان الحمير، وينتهي به المطاف ليصبح جحشًا، له ذيل وكل شيء.

بعد ذلك بوقت قصير، وصلت العربة دون أن تحدث أدنى ضجة، لأن إطارات مطاطية سميكة كانت مثبتة على عجلاتها.

كان يجرها اثنا عشر زوجًا من الحمير، جميعهم متساوون في الحجم، على الرغم من اختلاف ألوان فرائهم. كانت هنالك حمير ذات لون رمادي وبني وأبيض؛ وأيضًا حمير باللونين الأبيض والأسود، وأخرى مخططة بالأصفر أو البني الضارب إلى الحمرة.

لكن الشيء الأكثر تفردًا هو أن تلك الأزواج الاثني عشر، أي الأربعة والعشرين حمارًا، كانت ترتدي أحذية جلدية كتلك التي يرتديها البشر، بدلًا من ارتداء الحدوات مثل باقي حيوانات الجر أو الحمل الأخرى. أمّا بالنسبة لسائق العربة؟ فتخيلوا رجلًا سمينًا عرضه أكثر من طوله، سمين ووجهه مشرق مثل كرة الشحم، حسن المظهر، فمه يضحك باستمرار، وصوته رقيق ويدغدغ كصوت مواء قط في حالة عشق.

كل الأولاد الذين رأوه وقعوا في حبه، وتمنّوا لو أنه يسمح لهم بالصعود إلى العربة ليتم نقلهم إلى تلك الجنة الحقيقية المعروفة على الخريطة بالاسم المغري الذي هو «بلد الألعاب».

كانت العربة بالفعل ممتلئة بأولاد من عمر ثمانية أعوام إلى اثنتي عشرة سنة، متكدّسين بعضهم فوق بعض مثل سردينات في علبة.

بدوا مضغوطين وغير مرتاحين. لكن أي واحد منهم لم يتذمر أو يتأوه! لأن أمل الوصول إلى بلد لا توجد فيه مدارس، أو مدرسون، أو كتب، جعلهم سعداء للغاية، لذلك لم يشعروا بخضخضات العربة ولا بالصدمات الناجمة عن حركتها، ولا بالجوع، ولا بالعطش، ولا بالنعاس.

حالما توقفت السيارة التفت الرجل القصير إلى هليون، وقال بتهذيب شديد وهو يبتسم له:

- أخبرني أيها الفتى الوسيم، هل تريد الذهاب إلى ذلك البلد المحظوظ؟
- أعتقد أنني أريد الذهاب!
- لكنني أحذرك، يا عزيزي، إذ لا يوجد مكان في العربة. كما ترى، لأنها ممتلئة عن آخرها.
- صبر جميل! إذا لم أستطع الركوب في الداخل، فسوف أجلس على الركاب.

وبقفزة واحدة، ركب على الركاب.

- وماذا عنك يا بني؟ قال الرجل القصير، وقد صار حنونًا جدًّا تجاه بينوكيو.. ماذا ستفعل؟ هل تريد أن تأتي أيضًا؟
- كلّا، أريد العودة إلى منزلي؛ أريد الدراسة وأريد أن أكون الأول في المدرسة، كما هو حال الأطفال الجيدين.
- حسنٌ، أتمنى لك التوفيق.

عندئذٍ صاح هليون:

- بينوكيو! اتبع نصيحتي، تعال معنا، وسنكون سعداء!
- لا، لا... ولا!
- تعال معنا، وسنكون سعداء! هتفت أصوات أخرى داخل العربة.

هتف بينوكيو، الذي بدأ يقتنع بالفعل: وإذا ذهبت معكم، ماذا ستقول أمي؟

- لا توجع رأسك بالتفكير في ذلك! ضع في اعتبارك أننا ذاهبون إلى بلد يمكننا فيه أن نفعل كل ما نريد من الصباح إلى المساء!

لم يرد بينوكيو، بل تنهّد بشدة، ثم تنهّد مرة أخرى. وبعدها أطلق تنهيدة أخرى أكبر، وأخيرًا قال:

- هيّا، افسحوا لي المجال، أنا آتٍ معكم!

عندئذٍ قال الرجل القصير:

- كل الأماكن مشغولة؛ ولكن، لكي أعبر لك عن مدى سعادتي بقدومك، سأعطيك مكاني في المقعد الأمامي خارج العربة.
- وحضرتك؟

- سأكمل الطريق سيرًا على الأقدام.

- لا، لن أسمح بذلك! أنا أفضّل الذهاب راكبًا على أحد هذه الحمير.

رابطًا القول بالفعل، اقترب بينوكيو من الحمار الذي احتل يسار أول زوجين، وأراد القفز عليه؛ لكن الحيوان الذي ابتعد بوركه، ركله على معدته ركلة جعلته يطير في الهواء.

لكم أن تتخيّلوا القهقهات الوقحة التي أطلقها كل الأولاد الذين رأوا ذلك المشهد.

الشخص الوحيد الذي لم يضحك، بغض النظر عن بينوكيو، كان الرجل القصير، الذي نزل من مقعده، واقترب من الحمار المتمرد، متظاهرًا بإعطائه قبلة، لكنه انتزع نصف أذنه اليمنى بعضة واحدة.

في الوقت نفسه نهض بينوكيو من على الأرض غاضبًا، وقفز على ظهر الحيوان المسكين. كانت القفزة صحيحة وسريعة لدرجة أن الأولاد المتحمسين توقفوا عن الضحك وبدؤوا في الهتاف: يعيش بينوكيو، وهم يصفقون بحرارة.

ولكن فجأة حرّك الحمار قوائمه الخلفية، وقام بحركة عنيفة، فألقى بينوكيو على كومة من الحصى، كانت على جانب الطريق.

عندئذٍ، عادت الضحكات من جديد؛ ومرة أخرى لم يضحك الرجل القصير، بل خالجته مودة كبيرة تجاه ذلك الجحش الذي لا يهدأ، لذلك أعطاه قبلة جديدة، انتزع بها نصف أذنه اليسرى.

- اركب على ظهره الآن ولا تخف. لا شك أن ذبابة كانت تزعج هذا الحمار؛ لذلك قلت له كلمتين صغيرتين في أذنيه، وأعتقد أنه عاد ليصبح وديعًا ومعقولًا.

ركب بينوكيو، وبدأت العربة بالتحرك؛ لكن أثناء ركض الحمير وسير العربة على الطريق، بدا أن بينوكيو سمع صوتًا خافتًا، يُفهم بالكاد، يقول: أنت أحمق! تريد أن تتصرف وفق إرادتك، ستندم على ذلك يومًا ما.

بينوكيو المليء بالخوف، نظر في كل الاتجاهات ليعرف من أين جاءت تلك الكلمات، لكنه لم ير أحدًا. كانت الحمير تركض، وعجلات العربة تدور، والأولاد داخل العربة نيام؛ هليون نفسه كان يشخر لأنه كان نائمًا منذ زمن طويل، أمّا الرجل القصير، الجالس على المقعد الخارجي للعربة، فكان يغني بفم مغلق: «أنا لا أنام... والكل نيام في الليل».

بعد نصف كيلومتر آخر، عاد بينوكيو ليشعر بنفس الصوت الذي قال: «أنت أحمق وسخيف. الأطفال الذين يهجرون المدرسة والدروس والمعلم من أجل عدم التفكير في أي شيء سوى اللعب والتسلية، تكون نهايتهم سيئة دومًا! أستطيع أن أؤكد لك ذلك، لأنني أعرفه من التجربة. سيأتي اليوم الذي تبكي فيه، كما أبكي اليوم؛ لكن ذلك سيكون بعد فوات الأوان».

عند سماع هذه الكلمات التي قيلت له بصوت يصعب إدراكه، قفز بينوكيو المملوء بالخوف إلى الأرض، واقترب من الجحش الذي كان يمتطيه، وأمسك بزمامه، فلاحظ باستغراب أن الحيوان كان يبكي مثل طفل.

صرخ بينوكيو بسائق الحافلة: هيه، يا سيد حوذي! هل تعلم أن هذا الحمار الصغير يبكي؟

- دعه يبكِ. في المرة القادمة سيضحك!
- لكن، هل يستطيع الكلام أيضًا؟
- لا، لكنه تعلّم أن يقول بضع كلمات فقط بسبب وجوده لمدة ثلاث سنوات بصحبه مجموعة من الكلاب الحكيمة.
- حيوان مسكين!
- هيّا، تحرّك! دعنا لا نضع الوقت في مشاهدة حمار يبكي! قم بالركوب وهيّا نذهب، فالليل بارد والطريق طويل.

ركب بينوكيو من جديد دون إجابة. انطلقت العربة، وفي صباح اليوم التالي وصلوا بسعادة إلى بلد الألعاب.

هذا البلد لم يكن مثل أي بلد آخر في العالم.

كان جميع سكّانه من الأولاد: الأكبر سنًّا لم يتجاوز الرابعة عشرة، والأصغر ثمانية أعوام. في الشوارع، كان هناك فرح، صخب، وضجيج يسبّب صداعًا في الرأس.

في كل مكان كان هناك قطعان من الأولاد الصغار الذين يلعبون لعبة الكمّاشة، ولعبة البيوت، ولعبة الدجاجة العمياء، ولعبة البولينغ، ولعبة البيدق.

مشى آخرون بدراجات، أو على خيول من الورق المقوى، والبعض تظاهر بأكل الكتّان المحترق، وهم يرتدون ملابس المهرجين. ركض

آخرون وقاموا بعمل شقلبات خطرة، أو ساروا على أيديهم بدل أرجلهم. آخرون تلوا الصلوات بصوت عالٍ، غنّوا، ضحكوا، ضربوا بعضهم، لعبوا بالطوق أو العساكر مصدرين أصوات صخب وضجيج، فكان من الضروري وضع القطن في الآذان حتى لا يصاب المرء بالصمم.

في جميع أرجاء الساحة، كانت هناك مسارح خشبية تعجّ بالأولاد من الصباح حتى المساء، وعلى جميع جدران المنازل الموجودة كتابات بالفحم، وعبارات مختصرة مضحكة مثل:

«تخيا الألعاف» والمقصود بها «تحيا الألعاب»!

وعبارة: «لا نريظ المتيسة» والمقصود بها «لا نريد المدرسة»!

وعبارة: «يسلت الحساء» والمقصود بها «يسقط الحساب»!

وعبارات أخرى على نفس المنوال.

لم يكد بينوكيو، وهليون وجميع الصبية الآخرين الذين قاموا بالرحلة مع الرجل القصير، يطؤون بأقدامهم قلب المدينة، حتى ألقوا بأنفسهم وسط هذه الضوضاء. وكما هو متوقع، بعد ذلك ببضع دقائق أصبحوا أصدقاء لكل أولئك الذين كانوا هناك.

من الذي يستطيع اعتبار نفسه أكثر سعادة منهم؟ وسط تلك الأعياد المتواصلة المليئة بتسلية متنوّعة كهذه، مرت الساعات والأيام والأسابيع بسرعة البرق.

– أوه، يا لها من حياة جميلة! (كان بينوكيو يقول ذلك في كل مرة يلتقي فيها بهليون).

- أرأيت كيف أنني كنت على حق؟ (كان الأخير يجيب باستمرار).

والقول بأنك لا ترغب في المجيء، وأنك قد وضعت في رأسك فكرة العودة إلى منزل جنيّتك لإضاعة الوقت في الدراسة! إذا كنت متحررًا الآن من إزعاج الكتب والمدرسة، فأنت مدين لي، ولنصيحتي، أليس كذلك؟ نحن؛ الأصدقاء الحقيقيين، فقط، قادرون على تقديم هذه الخدمات الكبيرة!

- هذا صحيح! الفضل يعود لك لأني مسرور وسعيد جدًّا، لك أنت فقط. ولكن بالمقابل، هل تعلم ما الذي قاله لي المعلم عندما تحدث عنك؟ حسنٌ، كان يقول لي باستمرار: لا تمشِ كثيرًا مع هذا الوغد هليون، لأنه رفيق سيئ، لا يستطيع أن ينصحك بشيء جيد.

أجاب الآخر، وهو يهز رأسه: يا للمعلم المسكين! أعرف أنه كان غاضبًا مني ولم يضيّع أيّ فرصة للتشهير بي، لكني كريم وسأسامحه!

قال بينوكيو، وهو يعانق صديقه بمودة ويقبّله بعاطفة جيّاشة: يا لها من روح عظيمة!

مرّت خمسة أشهر على وصولهم إلى البلد؛ خمسة أشهر من اللعب والاستمتاع طوال اليوم، دون فتح كتاب، دون الذهاب للمدرسة، إلى أن استيقظ بينوكيو في صباح أحد الأيام على مفاجأة غير سارة لدرجة أنها وضعته في مزاج سيئ للغاية.

الفصل الثاني والثلاثون

تنمو لبينوكيو أذنا حمار، ثم يصبح جحشًا حقيقيّا ويبدأ بالنهيق.

ماذا كانت المفاجأة؟ سأخبركم أيها القراء الأعزاء. كانت المفاجأة أنه عندما استيقظ بينوكيو، أراد أن يحك رأسه، لكنه عندما وضع يده، وجد...

لماذا لا تخمّنون ما الذي وجده؟

لقد وجد، ويالدهشته الكبيرة، أن أذنيه نمتا أكثر من الربع.

أنتم تعرفون أنه منذ الولادة، كان للدمية أذنان صغيرتان جدًّا، بالكاد يمكن رؤيتهما. تخيّلوا كيف أصبحت حاله عندما لمسهما بيديه، ووجد أن تلك الأذنين نمتا كثيرًا أثناء الليل لدرجة أنهما صارتا وكأنهما مروحتان.

ذهب بحثًا عن مرآة لينظر إلى نفسه، ولم يعثر على واحدة، فملأ حوض مغسلته بالماء، وعندها تمكن من رؤية ما لم يكن يرغب أبدًا في التفكير فيه:

رأى صورته مزينة بزوج كبير من آذان الحمير.

وكتعبير عن الخجل والألم واليأس، بدأ المسكين بينوكيو بالبكاء والصراخ وضرب رأسه بالجدار؛ ولكن كلما كان يأسه يزداد، كانت أذناه تنموان أكثر. تنموان وتنموان، في الوقت الذي كانت فيه أطرافهما تتغطى بالشعر.

دخلت إلى الغرفة على صوت صراخ بينوكيو مرموطة[1] جميلة كانت تعيش في الطابق العلوي، ولرؤية بينوكيو حزينًا، سألته باهتمام:

- ما بك يا جاري العزيز؟
- أنا متعب، صديقتي المرموطة، متعب للغاية، وأعاني من مرض يخيفني كثيرًا! هل تعرفين كيف تقيسين النبض؟
- قليلًا.
- انظري، فلربما كان عندي حمّى.

رفعت المرموطة إحدى قوائمها الأمامية، وبعد أن قاست نبض بينوكيو، قالت له وهي تتنهد:

- أنا آسفة جدًّا لأنني مضطرة لإعطائك أخبارًا سيئة يا صديقي!
- ما هي؟
- عندك حمّى سيئة للغاية.
- وما هو نوع هذه الحمّى؟
- إنها حمّى الحمير.
- أنا لا أعرف ما الذي تكونه هذه الحمّى، (أجاب بينوكيو)، ومع ذلك أحاول أن أتخيّل ماذا تكون.

(1) المرموط: حيوان من القوارض، هو أكبر حيوان في فصيلة السنجابيات. يعيش في الجحور ويوجد في مناطق كثيرة من نصف الكرة الشمالي.

- أنا سأوضح لك، فلتعلم أنك خلال ساعتين أو ثلاث ساعات لن تكون دمية أو طفلًا بعد الآن.
- حسنٌ، ماذا سأكون؟
- في غضون ساعتين أو ثلاث ساعات ستصبح جحشًا حقيقيًّا؛ تمامًا مثل أولئك الذين يجرون عربة أو يجلبون الخضروات إلى السوق.
- آه! يا لتعاستي! يا لتعاستي! (صرخ بينوكيو، وهو يمسك الأذنين بكلتا يديه ويشدهما بشراسة، كما لو كانتا غريبتين عنه).

بعد ذلك قالت المرموطة لمواساته: ما الذي ستفعله يا عزيزي؟ لا شيء يجدي الآن! مكتوب في كتاب الحكمة، أن جميع الأولاد الكسولين الذين يكرهون الكتب والمدارس والمدرسين، ويقضون أيامهم في الألعاب والترفيه، يجب أن ينتهي بهم المطاف بأن يصبحوا جحاشًا عاجلًا أم آجلًا.

- لكن هل هذا صحيح؟ (سأل بينوكيو باكيًا).
- أظن أن هذا صحيح فعلًا. والآن لا فائدة من بكائك. ليس هنالك حل.
- لكن، لم يكن الخطأ خطئي. صدّقي هذا، أيتها المرموطة الصغيرة؛ الخطأ كله يقع عاتق على هليون!
- ومن يكون هليون هذا؟
- زميلي في الدراسة. أردت أن أعود إلى منزلي، وأردت أن أكون مطيعًا، وأن أواصل الدراسة؛ لكنه قال لي: لماذا تريد أن تزعج نفسك

بالتفكير في الدراسة والذهاب إلى المدرسة؟ من الأفضل أن تأتي معي إلى بلد الألعاب؛ هناك لن ندرس ثانية، سنستمتع من الصباح إلى المساء، وسنكون سعداء باستمرار!

- ولماذا اتّبعت نصيحة هذا الصديق المزيّف، هذا الزميل السيئ؟
- لماذا؟ لأنني.. انظري، أيتها المرموطة الصغيرة: أنا دمية بدون ذرة عقل وبدون قلب. آه! لو كان عندي قلب (وأشار بإبهامه إلى قلبه)، لما تركت الجنية الجميلة، التي أحبتني كأم، والتي فعلت الكثير من أجلي؟! أخ! ولكن إذا عثرت على هليون اللعين! سأخبره بكل ما لا يريد أن يسمعه.

وأراد مغادرة الغرفة. ولكن عندما وصل إلى الباب، تذكر أذني الحمار التي لديه، وخجل من أن يظهر نفسه علانية بهذه الزخرفة.

هل تعرفون ما الذي حدث؟

لقد صنع طاقية كبيرة من الورق ووضعها على رأسه، مغطيًا أذنيه تمامًا.

ثم خرج وكرّس نفسه للبحث عن صديقه في كل مكان. بحث عنه في الشارع، في الساحة، في المسارح، في كل مكان، دون أن يعثر عليه. سأل بعض من وجدهم عن أخباره؛ لكن أحدًا لم يره.

لذلك ذهب للبحث عنه في بيته وطرق الباب.

- من أنت؟ (سأل هليون من الداخل).
- هذا أنا!

- انتظر قليلًا، وسأفتح لك.

تم فتح الباب بعد نصف ساعة، ولكم أن تتخيلوا دهشة بينوكيو لدى دخوله إلى الغرفة، حيث رأى صديقه وهو يرتدي طاقية ورقية كبيرة على رأسه، تغطي عينيه تقريبًا وتنزل من الخلف إلى أسفل الرقبة.

عند رؤية تلك القبعة، شعر بينوكيو بشيء من الارتياح، وفكّر على الفور: هل هو مريض بذات المرض؟ هل هو مصاب بحمّى الحمير أيضًا؟

سأله مبتسمًا وتظاهر بعدم ملاحظة أي شيء:

- كيف حالك يا عزيزي؟
- جيد وفي أحسن حال، مثل فأر داخل كرة الجبن.
- هل تعني ما تقول؟
- ولماذا أكذب؟
- اعذرني يا صديقي. ولكن لماذا تضع طاقية الورق التي تغطي رأسك حتى الأذنين؟
- وصفها لي الطبيب، لأنني أُصبت في ركبتي. وأنت يا عزيزي بينوكيو، لماذا تضع طاقية الورق التي تغطي رأسك حتى الأذنين؟
- وصفها لي الطبيب، لأن بعوضة لسعتي في قدمي.
- آه، يا بينوكيو المسكين.
- آه، يا هليون المسكين.

تبع تلك العبارات صمت مطبق، لم يفعل خلاله الصديقان شيئًا سوى النظر لبعضهما بسخرية.

أخيرًا، قال بينوكيو لرفيقه بلطف:

- عزيزي هليون، أخبرني بدافع الفضول فقط؛ هل تعاني من أي مرض في أذنيك؟
- أبدًا! وأنت؟
- أبدًا! لكن هذا الصباح أزعجتني إحداهما قليلًا.
- وأنا أيضًا حدث معي نفس الشيء.
- أنت أيضًا؟ وماهي الأذن التي تؤلمك؟
- كلتاهما. وأنت؟
- كلتاهما. هل يمكن أن يكون نفس المرض؟
- أخشى أنه كذلك.
- هل تريد أن تصنع معي معروفًا؟
- بكل سرور.
- هل يمكن أن أرى أذنيك؟
- كلا. لماذا؟ يا عزيزي بينوكيو، دعني أرى أذنيك، أولًا.
- كلا؛ يجب أن تدعني أنت أولًا!
- كلا؛ أنت أولًا يا عزيزي، وبعد ذلك أنا!
- حسنٌ، دعنا نعقد صفقة.

- نعقد صفقة!
- نزيل القبعات معًا، في نفس الوقت. اتفقنا؟
- اتفقنا!
- حسنٌ، انتباه!

وبدأ بينوكيو بالعدّ بصوت عالٍ:

- واحد، اثنان، ثلاثة.

عند قول ثلاثة، قام الصبيان بإزالة القبعتين من على رأسيهما وألقيا بهما في الهواء.

ثم حدث مشهد بدا أنه لا يُصدّق لو لم نكن نعرف ما حدث بالفعل. فما حدث هو أنّ بينوكيو وهليون عندما أدركا أنّهما مصابان بالمرض نفسه، وبدلًا من الشعور بالانزعاج والألم، نظرا إلى بعضهما بعضًا ساخرين من آذانهما المفرطة، وانتهى بهما الأمر إلى الضحك بصوت عالٍ.

ضحكا كثيرًا، لدرجة أوجعت فكيهما. ولكن في غمرة هذا الضحك، حدث أنّ هليون توقف فجأة عن الضحك، وتغير لونه، وقال لصديقه بانزعاج:

- ساعدني يا بينوكيو، ساعدني!
- ما بك؟
- أنا لا أستطيع الوقوف على قدميّ!

- أنا أيضًا لا أستطيع! (صرخ بينوكيو وهو يرتجف محاولًا البقاء منتصبًا).

عند قول هذا، انحنيا بظهريهما، واستندا بأيديهما على الأرض، وبهذه الطريقة، مشيا على أربعة أطراف، وبدآ الركض والدوران في أرجاء الغرفة. وبينما كانا يركضان، تحولت الأذرع إلى قوائم، وتطاولت الوجوه متحولة إلى رؤوس حمير، وتغطت الأجساد بالفراء الرمادي الفاتح المطلي بخطوط سوداء.

لكن هل تعرفون ما هو أسوأ وقت عانى فيه هؤلاء البائسان؟ الموقف الأسوأ والأكثر إهانة لهما، كان عندما لاحظا أن الذيل بدأ يخرج من الخلف. كان يملؤهما العار والألم، فحاولا البكاء وندب حظهما.

لكنهما لم يفعلا ذلك البتة! لأنهما بدلًا من إطلاق التنهيدات والندب، أطلقا أصوات نهيق فقط؛ نهقا بصوت عالٍ، وقالا معًا: هيها، هيها!

في نفس اللحظة سُمع طرق الباب، وقال صوت من الخارج:

- افتحا! أنا الرجل القصير؛ أنا حوذي العربة التي أتت بكما إلى هذا البلد! افتحا بسرعة، وإلا فالويل لكما!

الفصل الثالث والثلاثون

بعد أن تحّول بينوكيو إلى جحش حقيقي، يتم نقله إلى سوق الحيوانات ويُشترى من قبل مدير فرقة بهلوانات لتعليمه الرقص والقفز من خلال الحلقة.

لما رأى أن الباب لا يزال مغلقًا، فتحه الرجل القصير بركلة قوية، ودخل الغرفة، قائلًا لبينوكيو وهليون (مع ابتسامته الأبدية):

- حسنٌ يا أولاد! تنهقون بشكل متقن! لقد تعرفت على أصواتكم، ولهذا جئت.

عند سماع تلك الكلمات، أصيب الجحشان بالذهول، فأنزلا رأسيهما إلى أسفل، وأنزلا آذانهما، وصار ذيلاهما بين رجليهما.

على الفور، قام الرجل الصغير بمداعبتهما من خلال تمرير يده على ظهورهما، وبعد ذلك، أخرج الفرشاة، وبدأ بتفريشهما بعناية إلى أن صارا يلمعان كما لو كانا مرآتين. ثم وضع لهما اللجام وقادهما إلى سوق المواشي على أمل بيعهما وتحقيق ربح جيد.

تم شراء هليون من قبل مزارع توفي حماره الصغير في يوم سابق، وبيع بينوكيو لمدير فرقة بهلوانات، اشتراه لتدريبه وجعله يقفز ويرقص مع الحيوانات الأخرى للفرقة.

هل فهمتم بالضبط، أيها القراء الأعزاء، ما هي المهمة الحقيقية للرجل القصير؟ كان ذلك الوحش الرهيب ذو الوجه المبتسم على الدوام يجوب البلاد من حين لآخر بعربته، ومن خلال إغوائهم وتقديم الوعود لهم، كان يقوم بالتقاط جميع الأولاد الكسالى والمشاغبين الذين يكرهون الكتب والمدارس، وبعد وضعهم في عربته، يقتادهم إلى بلد الألعاب ليتمكنوا من قضاء يومهم في لهو ومتعة.

بعد ذلك بوقت قصير، أي عندما يصبح هؤلاء الأولاد المساكين حميرًا بسبب تفكيرهم في اللعب فقط، يستولي عليهم بسهولة شديدة ويأخذهم كي يبيعهم في المعارض والأسواق. وبهذه الطريقة تمكّن من كسب الكثير من المال في بضع سنوات لدرجة أنه أصبح مليونيرًا.

لا أستطيع أن أخبركم بما حدث لهليون؛ لكنني من ناحية أخرى سأقول لكم إن بينوكيو المسكين كان يعيش حياة صعبة وقاسية منذ اليوم الأول. أخذه المالك الجديد إلى الإسطبل وقدم له وعاء أكل مملوءا بالقش؛ لكن ما إن تذوق بينوكيو أول لقمة حتى بصقها وعلامات الاشمئزاز ترتسم على وجهه.

عندئذٍ، وعلى الرغم من تذمره، قام المالك بإزالة القش من وعاء الأكل وملأه بالتبن، لكن التبن أيضًا لم يكن ليرضي بينوكيو.

صاح المالك والغضب يملؤه: آه! أنت لا تحب التبن كذلك؟ لا تكن متعجرفًا، سأجعلك تعتاد على عدم التصرف بحسب أهوائك.

وناوله ضربة سوط هائلة على وركه.

الألم جعل بينوكيو يبكي وينهق قائلًا:

- هيها، هيها! لا أستطيع أكل التبن!

أجاب المالك، الذي يفهم تمامًا لغة الحمير: حسن، تناول القش!

- هيها، هيها! القش يوجع بطني!

تمتم المالك وازداد غضبه وضربه بالسوط ثانية: يبدو أني سأطعم حمارًا مثلك، لحمًا مشويًّا ودجاجًا بريًّا مطبوخًا مع الكمأة!

عندما أحس بينوكيو بألم الدعابة الثانية، صمت ولم يعد يتكلم ولا كلمة. خرج المالك وأغلق الإسطبل، ولم يتبق سوى بينوكيو في الداخل. ولأنه لم يأكل شيئًا منذ عدة ساعات، بدأ يتثاءب من الجوع، ويفتح فمه على مصراعيه إلى حدٍ صار معه الفم شبيهًا بباب الفرن.

أخيرًا، لما رأى أن وعاء الأكل لا يحتوي إلا على التبن، وافق على مضض أن يأكل قليلًا منه، وبعد مضغه جيدًا أغمض عينيه وابتلعه. بعد أن ابتلعه، فكر في قرارة نفسه أن هذا التبن ليس سيئًا! لكن، ألم يكن من الأفضل لو استمررت في الذهاب إلى المدرسة! وبدلًا من التبن، كنت في هذا الوقت سآكل قطعة لذيذة من خبز الجبن!

صبر جميل!

عندما استيقظ في صباح اليوم التالي، كان أول شيء فعله هو البحث عن بعض التبن في وعاء الطعام؛ لكنه لم يجد شيئًا، لأنه كان يتناوله طوال الليلة الماضية.

عندئذٍ أكل لقمة من القش، وبينما كان يمضغها، كان عليه أن يقنع نفسه بأن طعم القش لا يشبه أبدًا طعم الأرز المطبوخ على الطريقة الفلنسيّة أو معجنات الكب كيك.

كرر وهو يواصل المضغ: صبر جميل.. أتمنى على الأقل أن تكون مصيبتي، درسًا مفيدًا ينفع جميع الأطفال العُصاة الذين لا يحبون الدراسة! صبر جميل وصبر جميل!

صاح المالك وهو يدخل إلى الزريبة: أي صبر بحق الجحيم! هل تظن أيها الحمار المتشيطن أنني اشتريتك لأعطيك طعامًا وشرابًا فقط؟ لقد اشتريتك لتخدمني وتكسبني المال! مع ما تعرفه بالفعل؛ افتح عينيك جيدًا! ابتداء من هذه اللحظة ستأتي معي إلى السيرك لتتعلم القفز من خلال الحلقة ورقص الفالس والبولكا مستندًا على القوائم الخلفية!

سواء عليه أشاء أم لم يشأ، كان على بينوكيو المسكين أن يتعلم كل تلك المهارات وغيرها الكثير؛ لكنّه احتاج ثلاثة أشهر من التعلم، ومجموعة من الضربات الهائلة.. مسكين بينوكيو! كم كان آسفًا على كسله!

ظهرت ملصقات ملونة كبيرة في جميع الزوايا، جاء فيها ما يلي:

¡¡ACONTECIMIENTO SENSACIONAL!!

GRAN
FUNCIÓN DE GALA

Esta noche se celebrarara una magnitica función de circo, en la que

TODOS LOS CABALLOS

de esta estupenda Compañía divertirán al respetable público con sus maravillosos

saltos, piruetas y cabriolas de todas clases,

y además se presentará por vez primera el colosal, el famoso, el inimitable

POLLINO PINOCHO

LLAMADO

EL REY DE LA DANZA

¡Piramidal! ¡Magnífico! ¡Incomparable!

حدث مثير!

العرض الكبير

هذه الليلة سيتم تقديم عرض السيرك المثير الذي يؤديه جميع فناني الفرقة والخيول..

قفزات، دوران في الهواء، قفز وركل في الهواء من جميع المستويات إضافة إلى ذلك، في الختام سنقدم لكم للمرة الأولى، الشهير الذي لا يقارن الحمار الجامح بينوكيو المدعو: ملك الرقص سوف يتلألأ المسرح بالإضاءة.

يمكنكم أن تتخيلوا كيف كان السيرك في تلك الليلة؛ قبل بدء العرض بساعة، كان المسرح ممتلئًا عن آخره. لم يكن بالإمكان العثور على مقعد في المقدمة، أو في المقصورات، أو عند المدخل الرئيسي، حتى لو كان ذلك مقابل عملة ذهبية.

كانت جميع الأماكن مزدحمة بالأولاد والبنات من جميع الفئات والأعمار، كانوا متلهفين لرؤية الحمار الشهير بينوكيو وهو يرقص. بعد انتهاء القسم الأول من العرض، وبعد انحناءة طويلة للجمهور، ظهر مدير الفرقة الذي كان يرتدي بزّة حمراء طويلة من الخلف وسروالاً أبيض، وحذاء ركوب الخيل ذا مهاميز كبيرة، وتلا الخطاب التالي بصوت مهيب ورنان:

الجمهور المحترم...

أيتها السيدات والسادة.. إن المتحدث المتواضع الذي يتشرف بالتحدث إليكم، وأثناء مروره في هذه العاصمة، لم يستطع إلا أن يقدم لكم عرضًا سيعجبكم كثيرًا بالتأكيد. ولأن هذا الجمهور ذكي؛ فأنا متأكد من أنكم ستحتفلون كما يجب، بجحشي الشهير الذي كان له شرف الرقص في بلاط جميع القصور المهمة في أوروبا.

وعلى ذلك أتوجه ملايين المرات بالشكر إلى كل واحد منكم، وأنتظر تصفيقكم وإحسانكم. انتهى.

كان ذلك الخطاب موضع ترحيب بتصفيق حاد؛ لكن التصفيق تضاعف وأصبح الحماس هائلًا، عندما تقدّم الجحش بينوكيو، مرتديًا ملابس رائعة.

كان يرتدي حذاءً من الجلد اللمّاع مع أبازيم ومشابك نحاسية، ويضع وردتي كاميليا بيضاوين على أذنيه، وكان شعر لبدته وذيله مضفورًا ومزخرفًا بأربطة وحواف من حرير وردّي وأقواس مخمليّة زرقاء، كما كان يضع حزامًا كبيرًا مطرّزًا بالذهب والفضّة على هيئة سرج. باختصار، كان أيّ شخص يراه يعشقه.

قام المدير بتقديم العرض من خلال الكلمات التالية:

الجمهور المحترم: أقدم لكم المشهور الذي لا يضاهى، الجحش بينوكيو، الفنان والأكثر حكمة من جميع الحمير، الذي اصطدته بنفسي بواسطة العقدة عندما كان يركض حرًّا طليقًا في سهول باتاغونيا. إن الراقصين الأكثر شهرة لا يمكن مقارنتهم بحماري الجامح بينوكيو. الذي يجيد كلّ الرقصات بشكل ممتاز.

انظروا إليه، صفقوا له؛ إذا كان يستحق التصفيق. انتهى.

في نهاية الخطاب الثاني، قام المدير بعمل انحناءة احترام شديدة أخرى، والتفت بعدها إلى الحمار، وقال:

- تشجّع يا بينوكيو! وقبل البدء بعروضك الرائعة، قدّم بأدب التحية للجمهور المحترم!

ركع بينوكيو المطيع على الفور، وبقي هكذا حتى قال المخرج وهو يفرقع السوط: «إلى المشي»! عندئذٍ استقام الجحش على قوائمه الأربع، وبدأ الدوران حول السيرك بخطوة بطيئة.

بعد فترة وجيزة صرخ المدير:

- إلى الهرولة!

- إلى الهرولة!

بعد سماع الأمر للمرة الثانية، أطاع بينوكيو، مبدلًا خطواته إلى الهرولة.

- إلى الركض!

ركض بينوكيو بشكل رشيق.

- إلى الجري!

وبالفعل انطلق بينوكيو حينئذٍ كالرصاصة.

ولكن في اللحظة التي جرى فيها بسرعة سيارة ذات أربع وأربعين حصانًا، رفع المدير ذراعه، وأفرغ رصاصة مسدس في الهواء.

عندما سمع صوت الطلقة، تظاهر الحمار بأنه أصيب، فسقط على الرمال وبدأ يرتجف كما لو كان يتشنج من المعاناة.

انفجر السيرك كله بالتصفيق وضج بالصراخ الذي كان يُسمع حتى في النجوم. في الوقت نفسه، فتح بينوكيو عينيه قليلًا لينظر من حوله، فرأى سيدة في المقصورة تضع حول عنقها سلسلة ذهبية سميكة، وقلادة عليها صورة دمية.

- هذه الصورة هي صورتي! تلك السيدة هي جنيتي!

قال بينوكيو وسيطرت عليه الفرحة، فحاول الصراخ:

- جنيتي! يا جنيتي!

ولكن بدلًا من هذه الكلمات، لم يخرج من حلقه سوى نهيق هائل، ما جعل جميع المتفرجين يضحكون، وبشكل خاص الأولاد الذين كانوا في السيرك.

عندئذٍ قام المخرج بإعطائه ضربة قوية على أنفه بمقبض السوط، لتعليمه أنه ليس من الأدب النهيق أمام الجمهور.

أخرج الحمار المسكين طرف لسانه وبدأ بلعق أنفه، معتقدًا أنه بهذه الطريقة يمكنه تهدئة الألم الشديد الذي تسببت به تلك الضربة.

لكن، ما الذي سيكون عليه يأسه عندما ينظر للمرة الثانية ويرى أن الجنّية قد اختفت من المقصورة!

اعتقدَ أنه مات. فاضت عيناه بالدموع، وبدأ يبكي بحزن؛ لكن أحدًا لم يلاحظ ذلك، حتى المخرج الذي لعب بالسوط، قال: ممتاز يا بينوكيو! الآن سنري هؤلاء السادة مقدار المهارة التي تقفز بها في الحلقة.

حاول بينوكيو مرتين أو ثلاث مرات؛ لكن عندما وصل أمام الحلقة، بدلًا من القفز، مر بسهولة من أسفلها. أخيرًا حاول القفز؛ ولكن عندما عبر الحلقة، تشابكت للأسف إحدى ساقيه، وسقط على الأرض مثل كيس. عندما نهض كان يعرج، وبالكاد تمكن من العودة إلى الإسطبل. صرخ الصبية بحماس، دون أن يدركوا أنه قد آذى نفسه: دع بينوكيو يخرج! نريد أن نرى الحمار! دعه يخرج مرة أخرى! يا لها من رقصة! يا لها من رقصة!

لكن الجحش لم يعد بإمكانه الخروج. كان على المخرج أن يلقي خطابًا آخر من خطاباته ويعلن أن بينوكيو سيرقص حالما يتحسّن. في صباح اليوم التالي ذهب لرؤية الطبيب البيطري، أي طبيب الحيوانات، الذي أعلن أنه سيكون أعرجَ إلى الأبد.

عندها أخبر المدير، صبي الإسطبل بأن يأخذ ذلك الحمار إلى السوق ويعيد بيعه، لأنه لم يعد يصلح لأي شيء بعد الآن.

بمجرد وصولهم إلى السوق، اقترب أحد المشترين وقال لصبي الإسطبل:

- كم تريد ثمنًا لهذا الحمار الأعرج؟
- عشرون سنتًا.
- لا.. أنا أعطيك عشرين قطعة نقدية نحاسية. لا تظن أني أشتريه كي يخدمني؛ أنا أشتريه فقط من أجل الجلد. أرى أن جلده صلب للغاية، وأرغب في أن أصنع به طبلًا لفرقة الموسيقى في بلدتي.

يمكنكم أن تتخيلوا ما الذي حدث لعقل بينوكيو عندما عرف أنه من المقدّر له أن يصبح طبلًا.

بعد أن دفع المشتري عشرين قطعة نقدية نحاسية، قاد حماره إلى صخرة عند شاطئ البحر، ووضع حول عنقه حجرًا كبيرًا، وقيد إحدى ساقيه بحبل. وبعدها، وبينما كان الحمار في غفلة من أمره، دفعه المشتري بقوة ورماه في البحر، مبقيًا الطرف الآخر من الحبل بيده.

الحجر الموضوع على رقبة بينوكيو جعله ينحدر بشكل سريع إلى قاع البحر، بينما جلس المشتري على الصخور ممسكًا طرف الحبل، بانتظار مرور وقت كافٍ حتى يموت الحمار غرقًا، ويتمكّن هو بعد ذلك من سلخ جلده، ودبغه لصنع الطبل.

الفصل الرابع والثلاثون

يتم إلقاء بينوكيو في البحر وتلتهمه الأسماك.
يعود دميةً إلى حالته الأولى، لكن عندما كان
يسبح كي ينجو، يبتلعه تنين البحر الرهيب.

مرت أكثر من خمسين دقيقة على وجود الحمار في أعماق البحر، عندها قال الشخص الذي قام بشرائه لنفسه:

- الآن يجب أن يكون قد غرق وشبع غرقًا. حسنٌ! سأقوم بإخراجه، وسأنتزع جلده هنا لأصنع منه طبلًا رائعًا.

بدأ يسحب الحبل الذي ربطه بقدم بينوكيو، يسحب ويسحب ويسحب... لكن بدلًا من حمار ميت، وجد دمية من خشب تنبض بالحياة، وتتلوى مثل ثعبان البحر.

عندما رأى تلك الدمية الخشبية، ظنّ الرجل المسكين أنه يحلم، وبقي مذهولًا، بفم مفتوح وعينين خائفتين.

عندما تعافى قليلًا من الانطباع الأول، قال بهذيان وهو يذرف بحرًا من الدموع:

- لكن ماذا عن حماري؟ أين هو الحمار الذي ألقيته في البحر؟
- ذاك الحمار هو أنا! (أجاب بينوكيو ضاحكًا).
- أنت؟

- أجل أنا!
- لا أسمح لك بالسخرية مني أيها المحتال!
- أسخر منك؟ على العكس يا سيدى العزيز. أنا أتكلم معك بجدية.
- لكن كيف من الممكن أن تكون قبل قليل حمارًا من لحم وعظم، وتتحول داخل البحر إلى دمية من خشب.
- ها! إنها تأثيرات مياه البحر! فالبحر يحب هذا المزاح.
- كن حذرًا من السخرية مني أيها الدمية؛ كن حذرًا جدًّا! وبما أن صبري بدأ ينفد فهذا ليس في صالحك.
- حسنٌ يا سيدي، هل تريد معرفة القصة الحقيقية بأكملها؟ إذن سأرويها عليك؛ لكن أولًا، اصنع معي معروفًا وفك عني هذا الحبل الذي يؤلمني.

رغبةً منه في معرفة تلك القصة الحقيقية التي لا بدّ أن تكون رائعة، وافق المشتري على فك العقدة التي تربط ساق بينوكيو، فأصبح بعد ذلك حرًّا كالطير في الهواء، وبهذه الطريقة بدأت علاقتهما:

- لتعلم يا سيدي أني كنت ذات يوم دمية من خشب، كما أنا الآن؛ لكن بسبب قلة اهتمامي بالدراسة واتباع نصائح رفاق السوء، هربت من المنزل، وفي أحد الأيام استيقظت لأجد نفسي حمارًا، بأذنين كبيرتين وذيل طويل. يا له من عار كبير مررت به! عار، لا جعلك الله تمر بمثله يا سيدي العزيز. أخذوني يا عزيزي إلى سوق الماشية، واشتراني مدير فرقة للفروسية، وأدخل في رأسه فكرة أن يجعلني راقصًا وقافزًا عظيمًا

عبر الحلقة؛ لكن في إحدى الليالي سقطتُ بشكل سيئ أثناء العرض، وأصبتُ في كلتا ساقيّ وصرت أعرج. ثم قال المدير إنه لا يريد إلى جانبه حمارا أعرج، وأرسلني ليبيعني في السوق، كان ذلك عندما اشتريتني أنت يا سيدي.

- من سوء حظي أني دفعت فيك عشرين قطعة نقدية نحاسية! والآن، من سيعيد إليّ نقودي.
- لماذا اشتريتني يا سيدي؟ كي تصنع من جلدي طبلا؟!
- أخبرني الآن، أيها الدمية الوقح: هل أنهيت قصتك؟
- كلا، هناك بعض الكلمات المتبقية لإنهائها. بعد أن اشتريتني، أحضرتني إلى هذا المكان لقتلي؛ ولكن، بعد أن شعرت بالرحمة، فضّلت ربط الحجر على رقبتي ورميتني في البحر. هذا الشعور بالإنسانية يكرّمك كثيرًا وسوف أشكرك على هذا للأبد. ولكن ألم تتحدث مع الجنّية؟
- ومن هي هذه الجنّية؟
- هي أمي، إنها مثل كل الأمهات الطيبات اللاتي يعشقن أطفالهن، ولا يغفلن عنهم أبدًا، ويعتنين بهم بمحبة، حتى لو كانوا بعيدين، على الرغم من أنّ هؤلاء الأطفال يستحقون لسوء سلوكهم ولأذاهم ولهروبهم، أن يُتركوا مهجورين ولا يُعاد الاهتمام بهم طوال حياتهم.

تابع: «عندئذٍ، حالما رأتني الجنّية الطيبة أعاني من خطر الغرق، أرسلت إليّ جيشًا من الأسماك، التي بدأت تأكلني، معتقدة أنني كنت حمارًا حقيقيًّا. ويا للّقم التي تناولتها! لم أكن لأصدق أبدًا أن الأسماك كانت أكثر نهمًا من الأطفال. البعض أكل أذني، والبعض بطني، والبعض رقبتي ووركي والبعض الآخر قوائمي. باختصار، بقيت هناك واحدة صغيرة للغاية، وظريفة للغاية، وكان فيها الخير لأنها التهمت ذيلي».

قال المشتري مرعوبًا: «أقسم أنني لن أتناول منذ اليوم أيّ سمكة! كي لا أجد قطعة من ذيل الحمار! أنا لا أحب أكل سمك السلطان إبراهيم الأحمر بالمرّة، ولا سمك دينيس.

- نحن متفقان، (قال بينوكيو ضاحكًا)..

«بعد ذلك، عندما انتهت السمكات من تناول الطبقة الخارجية من لحم وجلد الحمار الذي يغطيني من الرأس إلى القدمين، وصلت بشكل طبيعي إلى العظام، أو بتعبير أفضل، إلى الخشب؛ لأنني صُنعت من خشب صلب للغاية كما ترى يا سيدي. لكن بمجرد أن حاولت اقتطاع بعض اللقم اقتنعت، على الرغم من شراهتها، بأنني لم أكن الطبق المستهدف، لذلك ذهبت كل واحدة منهن إلى وجهتها ببطن ممتلئ، حتى دون توجيه الشكر لي على المأدبة لقد قدمتُها لهن. وهكذا أوضّح لكم يا سيدي، لماذا وجدت أنت دمية تنبض بالحياة بدلًا من حمار ميّت عندما سحبت الحبل.

- حسنٌ، حسنٌ! هذه القصة كلها لا تساوي عندي فجلة!

صاح المشتري بغضب: ما أعرفه هو أنني قد دفعت من أجلك عشرين قطعة نقدية نحاسية وأريد أموالي. هل تعرف ماذا سأفعل؟ سآخذك من جديد إلى السوق وأبيعك كحطب لإشعال الموقد.

- أوه، حسنٌ جدًا! ليس عندي أدنى مشكلة!

قال بينوكيو لكنه في الوقت نفسه قفز وغطس في الماء. وبينما كان يسبح بسعادة مبتعدًا عن الشاطئ، صرخ في المشتري المسكين:

- وداعًا يا سيدي. إذا كنت بحاجة إلى جلد لصنع طبل، تذكرني!

وضحك بصوت عالٍ وواصل السباحة، ليعود بعد ذلك بوقت قصير ويصرخ بقوة أكبر:

- وداعًا يا سيدي. إذا كنت بحاجة إلى القليل من الخشب لإشعال الموقد، تذكرني!

بعد ذلك بوقت قصير، ابتعد عن الشاطئ لدرجة أنه لم يعد من الممكن تمييزه إلّا كنقطة سوداء على سطح الماء، وكان من حين لآخر يخرج ذراعًا أو ساقًا، أو يقفز مثل دلفين في مزاج جيد.

أثناء السباحة بهذه المغامرة، رأى بينوكيو في منتصف البحر جزيرة تشبه الرخام الأبيض، وفي الجزء العلوي منها عنزة جميلة تضرب الأرض برفق وتشير إليه للاقتراب منها.

كانت الحالة الأكثر تفردًا هي أن شعر العنزة، بدلًا من أن يكون أبيض أو أسود أو أحمر، مثل شعر باقي العنزات، كان لونه أزرق فاتحًا؛ لكن مشرق جدًّا، يشبه كثيرًا شعر الفتاة الجميلة.

تخيّلوا كيف خفق قلب بينوكيو المسكين! ضاعف من جهوده للسباحة بشكل أسرع باتجاه الجزيرة الصغيرة البيضاء، كان قد قطع بالفعل منتصف المسافة، عندما رأى رأس وحش البحر الرهيب بفمه المفتوح، مثل مغارة، يخرج من الماء، مظهرًا ثلاثة صفوف من الأسنان من شأنها أن تسبب الخوف لمجرد رؤيتها مرسومة فقط.

هل تعرفون من كان ذلك الوحش البحري؟

حسنٌ، ذلك الوحش البحري لم يكن سوى التنين العملاق الذي تم التحدث عنه عدة مرات في هذه القصة، وبسبب نهمه الشديد، فقد كان يعيث فسادا في تلك البحار، التي كانت تسمى آفة الأسماك والصيادين. كم كان بينوكيو المسكين خائفًا عند رؤية الوحش! حاول الهرب وتغيير اتجاهه، حاول الفرار؛ لكن كل شيء كان بلا فائدة. كان ذلك الفم الضخم مُسَلطًا عليه دائما بسرعة قطار سريع.

- بسرعة يا بينوكيو بحق الرب.. (صرخت العنزة الجميلة).

كان بينوكيو يسبح يائسًا بذراعيه وساقيه وصدره وكل جسده.

- أسرع، بينوكيو، أسرع؛ الوحش قادم!

ضاعف بينوكيو جهوده لزيادة السرعة.

- أسرع يا بينوكيو، سيصل إليك! إنه بالفعل هناك! أسرع أو ستضيع! سيصل إليك! سيصل إليك!

سبح بينوكيو بيأس وانزلق عبر الماء مثل رصاصة بندقية. بدأ يقترب من الشعاب المرجانية، فأمالت العنزة الجميلة جسدها على

الشاطئ، ومدت قوائمها الأمامية لمساعدته على الخروج من الماء؛ لكن... لكن بعد فوات الأوان! لأن الوحش الذي كان قريبًا جدًّا، لم يستغرق الأمر منه سوى شربة ماء، فابتلع بينوكيو مع الماء الذي كان يحيط به، مثل شخص يرشف بيضة نيئة. ابتلعه بشغف وعنف، حتى إن بينوكيو اصطدم بسن التنين صدمة هائلة جعلته يفقد الوعي لمدة ربع ساعة.

عندما عاد إلى وعيه، لم يكن يعرف في أي عالم هو موجود. كان هناك ظلام دامس من حوله، ولكنه كان أسودَ وعميقًا لدرجة تخيّل معها أنه موجود داخل كيس حبر الحبّار.

أراد الإصغاء، لكنه لم يسمع أي ضجيج؛ فقط كان يشعر من حين لآخر بنفخة هواء تضربه على وجهه. في البداية لم يكن يعرف من أين يأتي هذا الهواء، لكن بعد ذلك فهم أنه كان يخرج من رئتي الوحش. ولأنه يجب ملاحظة أن الوحش كان يعاني من الربو، لذلك عندما تنفس، بدا وكأنه يطلق العنان لإعصار.

سرعان ما حاول بينوكيو أن يغرس في نفسه بعض العزيمة؛ لكن عندما أصبح متأكدًا من أنه صار سجينًا داخل جسد وحش البحر، بدأ يبكي ويصرخ قائلًا:

– النجدة! النجدة! أسفي على نفسي! أليس هناك من أحد يأتي وينقذني؟

أجاب من تلك العتمة صوت يتدفق، مثل صوت قيثارة لم تضبط أوتارها: ومن سينقذك، أيها البائس؟ سأل بينوكيو وهو يشعر بمزيد من الخوف: من الذي كلمني؟

- إنه أنا، سمك القد[1] البائس الذي قام التنين بابتلاعه مثلما ابتلعك أنت! ومن أي الأسماك أنت؟
- أي أسماك بحق الجحيم! أنا لست سمكة من أي نوع! أنا دمية.
- حسنٌ، ولماذا تركت الوحش يبتلعك، إذا لم تكن سمكة؟
- يا رجل، هذا لا يحدث إلّا مع سمك القد فقط! أنا بذلت قصارى جهدي كي لا يبتلعني؛ لكنه أصر، فهذا التنين اللعين يجري بسرعة كبيرة.. حسنٌ، ماذا سنفعل في هذا الظلام؟
- نستسلم وننتظر التنين كي يهضمنا نحن الاثنين.
- إنه مستقبل لطيف! قال بينوكيو..

ولأنه فجأة أصبح حزينًا جدًّا، بدأ بالبكاء مثل عجل.

أجاب القد: يا رجل، كذلك أنا، هذا الأمر لايشعرني بطرافة استثنائية؛ لكنني فيلسوف، وأنا أقبل هذه الحالة. حسنٌ، بنظرة فاحصة، أنا سعيد؛ لأن سمك القد عندما يولد، يكون الموت في الماء أكثر احترامًا له، من الموت بالزيت المقلي.

- كلام فارغ أيها الشجاع.
- إنه رأي؛ وكما تقول الأسماك التي تعمل بالسياسة، يجب احترام جميع الآراء.
- حسنٌ، ما أقوله هو أنني أريد الخروج من هنا، وأريد الفرار.

---

(1) سمك بحري يصل طوله إلى 170 سم، جسمه طويل، لونه أخضر زيتوني وأفتح في الجزء البطني والأطراف. له رأس كبير وثلاث زعانف ظهرية واثنتان في الخلف.

- حاول، أفضل لك، لو تمكّنت من ذلك.
- هل التنين الذي ابتلعنا ضخم جدًا؟
- تصوّر أن طول جسمه يبلغ أكثر من كيلومتر، دون أن نحسب طول الذيل..

بينما كان بينوكيو يتحدث في تلك الظلمة، تخّيل أنّه يرى نوعا من اللمعان البعيد، هناك، بعيدًا جدًّا.

- ما الذي يمكن أن يكونه هذا الضوء الخافت الذي يرى من بعيد؟
- سيكون واحدًا من أصحابنا قليلي الحظ، ينتظر مثلنا الوقت الذي سيتم فيه هضمه.
- أنا ذاهب لأفتش عنه. ربما يكون سمكة قديمة، يمكنها أن تدلني على المخرج.
- أتمنى ذلك من كل روحي، أيها الدمية اللطيف.
- وداعًا، أيها القد الودود!
- وداعًا، أيها الدمية، وحظًا طيبًا!
- أين سنلتقي مرة أخرى؟
- اذهب كي تعرف! من الأفضل عدم التفكير في الأمر!

الفصل الخامس والثلاثون

بينوكيو يَجد داخل جسم التنّين... من يَجد؟
عندما تقرؤون هذا الفصل ستعرفون.

بمجرد أن قال وداعًا لصديقه سمك القد الطيّب، انطلق بينوكيو عبر جسم التنين يتلمس طريقه في الظلام، ويمشي خطوة تلو الأخرى بحذر نحو اللمعان البسيط الذي لاحظه من بعيد، من بعيد جدًّا.

وبينما هو يمشي كان يشعر بأن أقدامه قد تبللت بماء دهني وزلق، ويشمّ رائحة نفّاذة للأسماك المقلية، كما لو كان في مطبخ جمعة الصوم الكبير.

حسنٌ، يا سادة، وبينما هو يتقدم في المشي، كان اللمعان يتضح أكثر. سار، وسار، إلى أن وصل إلى المكان الذي كان فيه. وعندما وصل، ماذا تعتقدون أنه رأى؟ ماذا؟ ألا تخمّنون؟

لا تخمّنوا! لأنه رأى طاولة صغيرة تنير فوقها شمعة، موضوعة على شمعدان زجاجي أخضر، له شكل قارورة، وعلى الطاولة، كان يجلس رجل عجوز أبيض بالكامل، بدا وكأنّه رجل من ثلج.

كان العجوز يأكل بعض الأسماك الصغيرة المفعمة بالحياة، حتى إنها كانت في بعض الأحيان تفرّ من داخل فمه.

شعر بينوكيو بفرحة عارمة، وغير متوقعة بالمرة، لدرجة أنه لم يعد ينقصه الكثير ليفقد عقله.

أراد الضحك، أراد البكاء، أراد أن يقول أي شيء، لكنه لم يستطع، وبدلًا من ذلك لم يتمكن إلّا من اصدار أصوات غير مفهومة أو كلمات لا معنى لها ويصعب إدراكها.

أخيرًا، نجح في إطلاق صيحة فرح، وفتح ذراعيه وألقى بنفسه على رقبة الرجل العجوز وهو يصرخ:

- أبي! أبي! أخيرًا وجدتك! الآن لن أتركك أبدًا، أبدًا!

أجاب الرجل العجوز وهو يفرك جفونه: هل صحيح ما تراه عيناي؟ هل أنت حقًّا يا عزيزي، بينوكيو؟

- نعم، نعم؛ إنه أنا، أنا بذاتي! لقد سامحتَني، أليس كذلك؟ كم أنت طيب يا أبي! التفكير في أنني... آه! لكن لا يمكنك أن تتخيل كم مصيبة حدثت معي، وكم عانيت، وكم بكيت! تخيّل أنه في اليوم الذي بعت أنت فيه، أيها الأب المسكين، معطفك لشراء كتاب تعليم القراءة، هربت أنا لمشاهدة الدمى، وأراد صاحب العمل أن يرميني في النار لتحميص الكبش، ثم أعطاني خمس عملات ذهبية لأعطيها لك. لكنني وجدت الثعلبة والقط اللذين أخذاني إلى نزل السلطعون الأحمر حيث أكلا مثل الذئاب، وذهبت وحدي إلى الحقل، ووجدت اللصوص، الذين بدؤوا يركضون ورائي، وأنا ركضت، وهم ورائي، كنت أركض وهم دائمًا ورائي، ودائمًا ورائي، وأنا أركض دائمًا... أوف! لا أريد أن أتذكر!

حسـنٌ، وبعـدها لحقـوا بـي، وعلّقـوني في فـرع مـن البلّـوط الكبيـر، فأخـذتني الفتـاة ذات الشـعر الأزرق الجميـل في عربـة، وقـال الأطبـاء على الفور: «إذا لم يكن ميتًا، فهذا دليل على أنه حي».

وكـذبت كذبـة، فبـدأ أنفـي ينمـو، إلـى درجـة أننـي لـم أعـد قـادرًا علـى المرور من باب الغرفة، لذلك ذهبت مـع الثعلبـة والقـط لأزرع القطـع الذهبية الأربع، لأنني أنفقت إحداها في النزل، وبدأ الببغـاء بالضـحك، وبـدلًا مـن ألفـي قطعـة ذهبيـة لـم أجـد شـيئًا. وعنـدما علـم القاضـي وضعني في السجن ليرضي اللصوص؛ وعندما مررت بالحقل، رأيـت عنقودًا من العنـب، ووقعـت في فـخ، ووضـع المـزارع لـي طـوق كلـب لأحرس قن الدجاج، لكنه أدرك بـراءتي وتركنـي أذهـب. والحيـة التـي كان لها ذيل يطلق الدخان بدأت بالضحك وانفجـر وريـد في صـدرها، لهذا عدت إلى منزل الفتاة الجميلة التي ماتـت، وقالـت لـي الحمامـة التي شاهدتني أبكي: لقد رأيت والدك الـذي كـان يصنع قاربًـا صغيرًا ليبحث عنك. وأنا قلت لها: لو كانت لدي أجنحة! عنـدها قالـت لـي: هـل تريـد أن تـذهب إلـى والـدك؟ وقلـت: أعتقـد ذلـك! لكـن مـن سيأخذني؟ وقالت لـي: اركـب فـوقي، وهكـذا طرنـا طـوال الليـل. وفي الصباح، نظر جميع الصيادين إلى البحر، وقالوا لي: إنه رجـل مسـكين في قارب صغير، يغرق، وأنا على الفـور تعرفـت عليـك مـن بعيـد، لأن قلبـي حـدثني بـذلك، وقمـت بعمـل إشـارات لـك كـي تعـود إلـى الشاطئ...

- لقد تعرفت عليك أنا أيضًا، وكنت سأعود إلى الشاطئ، لكنني لم أستطع. البحر كان سيئًا للغاية، وقلبت موجة غاضبة القارب. عندئذٍ رآني تنين فظيع، كان على مقربة مني، وتوجّه نحوي، وأخرج لسانه وابتلعني كما لو كنت حبة.
- منذ متى وأنت هنا؟
- مضى حوالي عامين منذ ذلك اليوم وحتى الآن.. سنتان يا بينوكيو بدتا لي كأنهما قرنان.
- وماذا فعلت لتأكل؟ وأين وجدت الشمعة؟ ومن أين حصلت على أعواد الثقاب؟
- سأخبرك بكل شيء. نفس تلك العاصفة التي حطّمت قاربي، أسقطت سفينة تجارية. تم إنقاذ جميع بحّارتها. لكن السفينة ذهبت إلى القاع، والتنين نفسه الذي كانت له في ذلك اليوم، شهية ممتازة، دون أدنى شك، ابتلع السفينة أيضًا بعد ابتلاعي.
- كيف؟ هل ابتلعها دفعة واحدة؟
- أجل؛ دفعة واحدة؛ ولم يبق منها أكثر من الصاري الطويل، لأنه علق بين أسنانه، كما لو كان شوكة سمكة. لحسن حظي، أنّ تلك السفينة لم تكن محملة باللحوم المحفوظة في العلب فقط، ولكن أيضًا بالبسكويت، أي بخبز البحارة، وزجاجات العصير والزبيب والقهوة والسكر والشموع وعلب أعواد الثقاب. وبسبب كل هذه الأشياء التي أرسلها لي الله، تمكنت من الحفاظ على نفسي لمدة عامين؛ لكنّي

اليـوم في الخـواتيم: لـم يتبـق أي شـيء للأكـل، وهـذه الشـمعة هـي الأخيرة.

- وبعد ذلك؟
- أوه! بعدها يا بني، سنبقى كلانا في العتمة.
- إذن، لا يوجد وقت كي نضيّعه يا أبي، يجب أن نفكر في الهرب!
- كيف؟
- نخرج من فم التنين، ونرمي بأنفسنا إلى البحر ونسبح.
- أجـل، هـذا جيـد جـدًّا؛ لكـن القضـية هـي أننـي، يـاعزيزي بينوكيـو، لا أعرف السباحة.
- وماذا يهم؟ تركب أنت على ظهري، وبما أنني سباح ماهر، فسآخذك إلى الشاطئ آمنًا وسليمًا.
- أوهام يا بني! (أجاب جيبيتو وهو يهز رأسه ويبتسم بحزن). هل تعتقد أن دميـة بالكـاد يبلـغ طولهـا مـترًا، يمكنهـا أن تمتلـك القـوة الكافيـة لتحملني على ظهرها؟
- سأحاول، وسترى. على كل حال، إذا كان الله قد كتب بأنه يجب علينا أن نموت، فعلى الأقل سنحصل على راحة الموت في أحضان بعضنا.

ومـن دون أن يقـول أكثـر مـن ذلـك، أخـذ بينوكيـو الشـمعة، ومضـى قـدمًا لإضاءة الطريق، وقال لأبيه:

- اتبعني، ولا تخف!

وبهذه الطريقة قاما بمسيرة جيدة، واجتازا معدة التنين بأكملها. لكن عندما وصلا إلى المكان الذي يبدأ فيه الحلق الفسيح للوحش، توقفا من أجل إلقاء نظرة واختيار اللحظة المناسبة للهروب.

حسنٌ يا سادة، بما أن التنين كان عجوزًا ويعاني من الربو وخفقان القلب، كان عليه أن ينام بفم مفتوح.

مقتربًا أكثر وناظرًا نحو الأعلى خارج الفم المفتوح الضخم، تمكّن بينوكيو من رؤية قطعة جيدة من السماء المرصعة بالنجوم وكذلك وهج القمر.

قال بينوكيو لأبيه بصوت منخفض: هذه هي المناسبة الكبرى للهروب، فالتنين ينام مثل فأر الزغبة، والبحر هادئ، والدنيا تبدو وكأنها نهار. تعال تعال يا أبي، وسترى كيف أننا سنكون في مأمن بعد قليل!

قولًا وفعلًا غادرا حلق الوحش بحذر بالغ، وعند الوصول إلى فمه الهائل، واصلا المشي ببطء شديد على أطراف الأصابع، فوق اللسان الذي كان طويلًا وعريضًا مثل ممشى. ولمّا صارا مستعدين لعمل قفزة والسباحة في البحر، عطس التنين، ومع العطاس اهتزّ بعنف شديد، ما أدى إلى عودة بينوكيو وجيبتو نحو الداخل، حيث وجدا نفسيهما مرة أخرى في معدة الوحش، وبطبيعة الحال! انطفأت الشمعة وبات الأب وابنه في ظلام دامس.

- هذا جيد فعلًا! (قال بينوكيو بسخرية).
- هل رأيت يا بني، هل رأيت؟ والآن، ماذا سنفعل؟
- ماذا سنفعل؟ هه! سترى! أعطني يدك، وحاول ألا تفلتها.

- إلى أين تريد الذهاب؟
- حسنٌ، سنعيد الكرّة. تعال معي ولا تخف.

أخذ بينوكيو يد أبيه، وبالمشي دائمًا على أطراف الأصابع، تمكَّنا من الوصول إلى حلق الوحش مرة أخرى.

اجتازا كلّ اللسان، واستطاعا النجاة من صفوف الأسنان الثلاثة. وقبل أن يقفز إلى الماء، قال بينوكيو لوالده:

- اركب على ظهري وتمسك بي بكل ما أوتيت من قوة! وأنا سأتكفّل بالباقي.

هذا ما فعله جيبيتو.

عندئذٍ ألقى بينوكيو البطل الواثق والشجاع، نفسه في الماء وبدأ يسبح بقوة. كان البحر هادئًا مثل بحيرة نثر عليها البدر ضوءه الفضي الشاحب، وكان التنين لا يزال غاطًّا في نوم عميق لدرجة أن خمسين طلقة مدفع لم تكن لتوقظه.

الفصل السادس والثلاثون

أخيرًا، يتوقف بينوكيو عن كونه دمية،
ويصبح صبيًا.

بينما كان بينوكيو يسبح بسرعة باتجاه الشاطئ، لاحظ أن والده، الذي كان لا يزال راكبًا على ظهره وساقاه في الماء، يرتجف بلا توقف، كما لو كان مصابًا بحمى ثلاثية.

هل كان يرتجف من البرد أم الخوف؟ أتعرفون يا سادة! ربما كان من الاثنين معًا.

لكن بينوكيو، ولاعتقاده بأن ذلك كان نتيجة للخوف فقط، قال له كي يشجعه:

– تشجع، يا أبي! سنصل إلى الشاطئ في بضع دقائق، وسنكون في مأمن!

«لكن أين هو ذلك الشاطئ السعيد؟»، سأل الرجل العجوز الذي كان قلقه يتزايد وهو ينظر في كل الاتجاهات. «لا أرى أكثر من سماء وبحر، من الأمام وعلى اليمين وعلى الشمال».

«حسنٌ، أنا أراه، ألفتُ انتباهك يا أبي إلى أنني مثل القطط؛ أرى في الليل أفضل من النهار».

كان المسكين بينوكيو يتظاهر بروح الدعابة والثقة الزائدة، لكنّه.. لكنّه بدأ يفقدهما ويصبح منزعجًا.

صار متعبًا للغاية، وبات تنفسه يتحول في كل مرة إلى لهاث. باختصار: شعر أنّ قواه قد خارت، وأنّ الشاطئ لا يزال بعيدًا.

استمر بالسباحة والسباحة إلى أن جاء الوقت الذي لم يعد فيه قادرًا على المواصلة، فأدار رأسه نحو والده، وقال له بصوت لاهث:

- أبي، أبي، خارت قواي.. أنا أموت!

كان مغشيًّا عليه تقريبًا، وبدأ الاثنان يغرقان عندما سمعا صوتًا يشبه صوت قيثارة لم تُضبَط أوتارها يقول:

- من الذي يموت؟
- أنا وأبي المسكين!
- أنا أعرف هذا الصوت! أنت بينوكيو!
- بذاته! ومن تكون أنت؟
- أنا سمك القد، رفيقك في بطن التنين.
- كيف تمكنتَ من الهرب؟
- لقد تصرفتُ مثلك. أنت أوضحتَ لي الطريق، ولم أفعل أكثر من السير على خطاك.
- عزيزي القد. لقد وصلت في الوقت المناسب! ومن أجل صداقتنا وإكرامًا للقدّة المحترمة زوجتك والقداقيد الصغيرة، أطلب منك أن تساعدنا، لأننا سنضيع إن لم تفعل ذلك!
- حسنٌ يا رجل! سأفعل ذلك بكل حب! تمسكا بذيلي ودعاني أوصلكما! سآخذكما إلى الشاطئ في أربع دقائق.

ولكم أن تتخيلوا بالفعل، كيف هرع الأب والابن لقبول الدعوة الكريمة من سمك القد الطيب، لكن بدلًا من التمسّك بالذيل، وجدا من الأفضل لهما أن يركبا على ظهره، لأن سمك القد أكبر بكثير من التيارات البحرية، ويتمتع بقوّة كبيرة، فقد كان بطل ملاكمة في بلدته.

- هل وزننا ثقيل؟ (سأله بينوكيو)..
- لا يا رجل! أبدًا! يخيّل إليّ أنّي أحمل فوق ظهري محارتين. (أجاب سمك القد برضا).

عند الوصول إلى الشاطئ قفز بينوكيو أولًا، وساعد والده على عمل الشيء نفسه.

بعد ذلك التفت إلى سمك القد قائلًا له بنبرة إعجاب:

- صديقي، لقد أنقذت أبي، امتناني لك عظيم لدرجة أنني لا أستطيع التعبير عنه بالكلمات! لن أنساك أبدًا، لأن الجاحدين فقط هم أكثر الأشخاص سوءًا. والآن، اسمح لي أن أعطيك قبلة، دليلًا على الامتنان الأبدي.

أخرج القد رأسه من الماء، فاقترب منه بينوكيو وأعطاه قبلة حنونة على فمه. نتيجة لهذا التصرّف المعبر عن المودة، والذي لم يعهده من قبل، تأثر سمك القد الودود كثيرًا، حيث شوهد وهو يبكي كطفل، ثم وضع رأسه في الماء واختفى.

في الوقت نفسه، طلع ضوء النهار.

مدّ بينوكيو ذراعه لوالده الذي كان لا يكاد يقوى على الوقوف على قدميه وقال:

- اتكئ على ذراعي، يا أبي العزيز، وهيّا نسر على أقل من مهلنا مثل النملات، وعندما نتعب سنجلس على جانب الطريق.
- وإلى أين سنذهب؟
- بحثًا عن منزل أو كوخ، حيث يتصدقون علينا بقطعة من الخبز وببعض القش كي ننام عليه.

سارا بالكاد مائة خطوة فشاهدا شكلين قبيحين للغاية يجلسان على حافة الطريق ويتسولان.

كانا القط والثعلبة، وبصعوبة أمكنه التعرف عليهما. لأن القط الذي كان يتظاهر بالعمى، أصبح أعمى بالفعل؛ وشاخت الثعلبة وصارت قذرة تمشي بعكازين من دون ذيل، لأنها في يوم شديد البؤس اضطرت إلى بيع ذيلها الرائع لبائع متجول اشتراه كي يصنع منه منظفا للأنابيب.

- أوه، بينوكيو! صاحت الثعلبة بصوت حزين. صدقة لاثنين من المرضى المساكين الذين لا يستطيعون الكسب.
- لا يستطيعون الكسب! (كرر القط).
- آه، أيها الوغدان! أجاب بينوكيو، لقد خدعتماني مرة، لكني تعلمت من خطئي. وداعًا أيها المحتالان!
- صدّقنا يابينوكيو! نحن لسنا سعداء الآن، نحن في بؤس.
- في بؤس! (كرر القط).

- إذا كنتما بائسين فأنتما تستحقان ما جرى لكما! من يمشِ بالشّر، ينتهِ بالشّر! أنتما الآن تدفعان ثمن الشر الذي اقترفتماه! وداعًا أيها الوغدان!
- أشفق علينا!
- علينا! (كرر القط).
- أشفق عليكما؟ وهل أشفقتما عليّ؟ وداعًا أيها الوغدان.

وواصل بينوكيو وأبوه طريقهما بهدوء. على بعد مائة خطوة، شاهدا من بعيد كوخًا جميلًا من القش، وسقفه مغطى بالورد الأزرق.

- لابد أن أحدًا ما يعيش في ذلك الكوخ، قال بينوكيو. دعنا نذهب إلى هناك وننادِ.

هذا ما فعلاه.

- من أنتم؟ (رد صوت منخفض من الداخل).
- نحن أب فقير وابن فقير دون خبز ودون مسكن!
- ادفع الباب وادخل!

فتح بينوكيو الباب، ودخلا؛ لكنهما نظرا كثيرًا، ولم يشاهدا أحدًا.

- أين هو صاحب هذا الكوخ؟ (سأل بينوكيو باستغراب).
- أنا هنا فوق.

التفت الأب والابن باتجاه السقف، ورأيا الجدجد المتكلم يقف على دعامة السقف.

صاح بينوكيو، وهو يحييه بفرح:

- أوه، عزيزي الجدجود الصغير.
- الآن تناديني «عزيزي الجدجود الصغير»، أليس كذلك؟ ولكن ألا تذكر حين رميتني بالمطرقة لتطردني من بيتك؟
- أنت على حق، يا جدجود! اطردني من بيتك أنت أيضًا، وارمني بالمطرقة، لكن ارحم والدي المسكين.
- سأكون عطوفًا، ليس فقط على الأب الطيب، بل على الابن أيضًا؛ لكنني فقط أذكرك بالتصرف السيئ الذي ارتكبتَه معي، لأعلمك أنك في هذه الدنيا يجب أن تكون مهذبًا مع الجميع، إذا أردت أن يعاملك الجميع بنفس التهذيب.
- أنت على حق، أيها الجدجود الصغير. معك حق في أن تنزعج مني، ولن أنسى أبدًا الدرس الذي أعطيته لي! ولكن، على رسلك، كيف تمكّنت من شراء هذا الكوخ الجميل؟
- هذا الكوخ، أهدتني إيّاه بالأمس عنزة صغيرة جميلة، شعرها أزرق فيروزي اللون.
- وأين ذهبت تلك العنزة؟ (سأل بينوكيو باهتمام شديد).
- لا أعلم.
- ومتى ستعود؟

«لن تعود أبدًا». بالأمس غادرت حزينة للغاية. ثَغَتْ وكأنها تقول:

«مسكين بينوكيو. لن أراه بعد الآن! لأن التنين في هذا الوقت، سيكون قد التهمه».

- هل قالت ذلك؟ إذن فقد كانت هي جنيتي الحبيبة! (صاح بينوكيو وهو يبكي وينتحب بشدة).

بعد أن بكى لفترة من الوقت، جفف عينيه، وأعد فراشًا وثيرًا من القش، ووضع فيه الرجل العجوز الطيب. ثم سأل الجدجد المتكلم:

- أخبرني أيها الجدجد اللطيف: أين يمكنني أن أعثر على بعض الحليب من أجل أبي؟
- هناك في الجوار يعيش البستاني خوان الضخم، لديه بقر حلوب، اذهب إلى إسطبله وستجد ما تبحث عنه.

ذهب بينوكيو إلى منزل البستاني خوان الضخم، لكن هذا سأله:

- كم تريد من الحليب؟
- كوبا ممتلئًا
- الكوب الممتلئ يكلّفك عشرة سنتات. أعطني النقود أولًا.
- طيّب، ماذا لو لم يكن لدي أي سنت! (أجاب بينوكيو بحزن).
- حسنٌ يا بني، أجاب البستاني، إذا لم يكن لديك أي سنت، فأنا لا أملك أي قطرة حليب.
- كل شيء على الله! قال بينوكيو وهو يهمُّ بالمغادرة.

عندئذٍ صاح خوان الضخم: انتظر قليلا! أعتقد أننا ما زلنا قادرين على الاتفاق. هل تريد أن تدير الناعورة؟

- وما هي هذه الناعورة؟

- انظر جيدًا، إنه مجرد سحب لتلك العصا الطويلة التي تراها هناك، والتي تستخدم للحصول على ماء البئر الذي تُسقى به الخضراوات.
- سأحاول!
- إذا استخرجت مائة دلو من الماء، فسأعطيك بالمقابل، كوبًا من الحليب.
- حسنٌ!

قاد خوان الضخم، بينوكيو إلى الحديقة، وعلّمه كيفية سحب المياه من الناعورة.

بدأ بينوكيو العمل على الفور؛ لكن قبل أن يستخرج مائة دلو من الماء، كان قد تبلل بالعرق من الرأس حتى القدمين. لكنه لم يشعر بإرهاق شديد البتة.

- منذ مدة، كان حماري الصغير يقوم بهذا العمل، لكن الحيوان المسكين يموت الآن.
- هل أستطيع رؤيته؟
- لا مشكلة في هذا، تعال معي.

بمجرد دخول بينوكيو إلى الإسطبل، رأى حمارًا صغيرًا وجميلًا ممددًا على القش. أدرك منذ الوهلة الأولى أن الجوع والإرهاق أوصلا هذا الحيوان المسكين إلى هذا الوضع المأساوي. بعد التحديق في الحمار، قال بينوكيو لنفسه:

- أنا أعرف هذا الحمار! وجهه ليس جديدًا عليّ.

وبعد أن جثم على ركبتيه بجانب الحيوان، سأله بلغة الحمير:

- من أنت؟

عند سماع هذا السؤال، فتح الحمار عينيه المحتضرين، ونهقَ باللغة نفسها:

- أنا هـ... لـ... يـ... و... ن!

ثمّ أغلق عينيه، ومات.

«مسكين أنتَ يا هليون!» قال بينوكيو بصوت منخفض، وأخذ حفنة من القش، ليمسح بها دمعة سالت على خده.

- تصدمك كثيرًا ميتة حمار لم يكلفك أي شيء! حسنٌ، وماذا أفعل أنا الذي اشتريته بنقودي المعدودة والرنانة؟

- سأقول لك يا سيدي. لقد كان صديقي.

- صديقك؟

- وزميل دراسة.

«كيف؟» صاح خوان الضخم وهو يضحك بصوت مرتفع: «هل كان زملاؤك في المدرسة حميرا؟ يا لها من دراسة!».

استاء بينوكيو من تلك الكلمات، ولم يرد، أخذ فقط كوب الحليب الذي لا يزال دافئًا، وذهب إلى الكوخ.

ابتداءً من ذلك اليوم والأيام التي تلت؛ أصبح بينوكيو يستيقظ قبل طلوع الفجر للذهاب إلى الناعورة، والفوز بذلك الكوب من الحليب الذي كان مفيدًا لوالده المسكين. لم يكن راضيًا تمامًا عن هذا، لذلك ومع مرور الوقت

كرّس نفسه لعمل سلال وحاويات من عيدان القصب، وبالنقود التي كان يحصل عليها، صار يغطي كل النفقات اللازمة. كما صنع، من بين أشياء أخرى كثيرة عربة أنيقة لاصطحاب والده في نزهة عندما يكون الطقس لطيفًا؛ من أجل التمتع بدفء الشمس واستنشاق الهواء.

خلال الساعات الأولى من الليل كان يمارس القراءة والكتابة. لأنه مقابل بضعة سنتات فقط، اشترى من البلدة المجاورة كتابًا ضخمًا، لاينقصه سوى عدّة صفحات من بدايته ومن الفهرس، ومن هذا الكتاب تعلّم القراءة.

أمّا من أجل الكتابة؛ فقد استخدم قطعة قش على نمط الريشة، ولعدم امتلاكه حبرا ولا حتى السائل الذي يحتويه الحبّار؛ كان يغمس ريشته في وعاء مملوء بعصير توت العلّيق أو الكرز.

مع رغبته المستمرة ونشاطه الدؤوب في العمل، لم يتمكن فقط من تلبية جميع احتياجات الحياة بشكل كامل، وخاصة احتياجات والده المريض، وإنما أيضًا كان قادرًا على توفير ما يصل إلى أربعين قطعة نقدية نحاسية لشراء بزة جديدة.

في صباح أحد الأيام قال لأبيه:

«سأذهب إلى السوق المجاور لأشتري لي سترة وقبعة وزوجًا من الأحذية». وأضاف وهو يبتسم: «عندما أعود إلى المنزل، سأكون في غاية الأناقة، ولن أستبدل نفسي بسيد عظيم».

بمجرد أن غادر المنزل، بدأ يركض بسعادة وسرور. لكنه سرعان ما سمعهم ينطقون باسمه، وعندما التفت رأى حلزونًا يخرج من بين مجموعة شجيرات.

- ألا تذكرني؟
- من ناحية، أعتقد أنني أذكرك، ومن ناحية أخرى، لا أعتقد ذلك.
- ألا تتذكّر ذلك الحلزون الذي كان يعمل في خدمة الجنّية ذات الشعر الأزرق؟ ألا تتذكّر تلك الليلة، التي نزلت فيها لأفتح لك الباب وكنت أنت واقفًا بقدم واحدة والأخرى محشورة بالباب؟
- أتذكّر كل شيء، لكن أجبني على الفور يا حلزوني الطيب. أين هي جنيتي الطيبة؟ ماذا تفعل؟ هل سامحتني؟ هل تتذكرني؟ هل ما زالت تحبني كما كانت؟ هل هي بعيدة عن هنا؟ أين يمكن أن أجدها؟

أجاب الحلزون بهدوئه المعتاد على كل تلك الأسئلة التي طرحها بينوكيو بسرعة ودفعة واحدة:

- الجنيّة الطيبة في المستشفى يا بينوكيو.
- في المستشفى؟
- بسبب المصائب التي لاحقتها والأمراض الخطيرة التي أصابتها، لم تعد قادرة اليوم لسوء الحظ، على شراء ولو كسرة من الخبز.
- لكن، هل هذا صحيح؟ آه، يا له من أمر مؤسف للغاية! مسكينة جنيتي! لو كان لدي مليون، لأسرعت في إعطائك إيّاها، لكن ليس معي سوى أربعين قطعة نقدية نحاسية! انظر إليها! كانت تكفيني

بالضبط لشراء بزّة جديدة. خذها يا حلزون، وسارع بإعطائها لجنيتي الطيبة!

- وماذا عن بزّتك الجديدة؟
- وبماذا تهمني البزّة الجديدة؟ وددت لو أني أبيع لأجلها حتى الأسمال التي ألبسها كي أستطيع مساعدتها! اذهب أيها الحلزون، انطلق بسرعة! وعد إلى هنا في غضون يومين، وآمل أني سأتمكن من إعطائك بعض المبالغ الأخرى. أنا أعمل حتى الآن من أجل إعالة أبي. لكن من الآن فصاعدًا، سأعمل خمس ساعات إضافية لإعالة أمي الطيبة أيضا. اذهب الآن، أيها الحلزون، وإلى اللقاء في غضون يومين.

على عكس عادته، انطلق الحلزون مسرعًا مثل سحلية في حر الصيف.

عندما عاد بينوكيو إلى الكوخ، سأله والده:

- أين الثوب الجديد؟
- لم أستطع العثور على واحد يناسبني. صبرٌ جميل! في المرة القادمة سأشتريه!

في تلك الليلة، بدلًا من البقاء مستيقظًا حتى العاشرة، ظل بينوكيو يعمل حتى بعد منتصف الليل، وبدلًا من ثماني سلال صنع ست عشرة سلة.

ثم ذهب إلى الفراش، ونام. وأثناء نومه، تراءى له أنه يرى في المنام جنيّته الجميلة والمبتسمة التي تقول له، بعد أن قبلته بمودة: حسنٌ جدًّا يا بينوكيو! بسبب القلب الطيب الذي أثبتّ أنك تمتلكه، سأسامحك على كل الأذى

الذي تسببت به حتى اليوم! إن الفتية الذين يعتنون بآبائهم في الفقر والمرض، بمحبة، يستحقون أن يكونوا دومًا محبوبين، على الرغم من عدم اعتبارهم نماذج للطاعة ولا للسلوك الجيد. كن عاقلًا من الآن فصاعدًا، لتصبح سعيدًا.

في هذه اللحظة انتهى الحلم واستيقظ بينوكيو.

الآن تخيّلوا كم كانت مفاجأته عندما أدرك بعد الاستيقاظ أنه لم يعد دمية من خشب، بل تحوّل إلى ولد مثل الآخرين.

نظر من حوله، ورأى غرفة جميلة مفروشة ببساطة وأناقة، بدلًا من جدران القش التي في الكوخ. نزل من السرير ووجد بزّة جديدة وحلوة، وقبعة جديدة وزوجا من الأحذية الباهظة الثمن والمصنوعة من الجلد اللمّاع.

بمجرد ارتدائها، شعر برغبة طبيعية في تفتيش الجيوب، وعندما أدخل يده، وجد محفظة عاجية اللون تحتوي على الكلمات التالية: «إن الجنّية ذات الشعر الأزرق تعيد إلى عزيزها بينوكيو القطع النحاسية المعدنية الأربعين، وتشكره جزيل الشكر على عمله الطيب».

عندما فتح المحفظة، وجد أربعين قطعة نقدية ذهبية برّاقة، بدلًا من الأربعين النحاسية.

بعدها ذهب للنظر إلى نفسه في المرآة، فبدا له أنه يرى شخصًا آخر. لم ير انعكاس الصورة المعتادة للدمية الخشبية، بل صورة فتىً ينبض بالحياة، ذكي

وجميل، له شعر بني وعينان سماويتان، تبدو عليه ملامح الفرحة والابتهاج مثل عيد الفصح المزهر.

في خضم هذه الأحداث الرائعة، لم يعد بينوكيو يعلم ما إذا كان كل الذي يراه حقيقيا أم أنه يحلم بأعين مفتوحة.

«أين هو أبي؟»، صاح بعد فترة وجيزة، عند دخوله إلى الغرفة المجاورة، وجد أنّ جيبيتو العجوز، يتمتع بصحة جيدة، وبروح الدعابة التي كانت تميّزه، فقد عاد إلى حرفته نحاتًا. كان يرسم كورنيشًا جميلًا مزينًا بأوراق الشجر والأزهار ورؤوس الحيوانات المختلفة.

- أخبرني من فضلك يا أبي! ماذا يعني كل هذا؟ كيف يمكن تفسير هذه التغيّرات غير المتوقعة؟ (سأل بينوكيو وهو يقفز على عنق أبيه، مغرقًا وجهه بالقبلات).
- كل هذه التغيّرات غير المتوقعة، يعود الفضل فيها إليك أنت.
- لماذا يعود الفضل فيها إليّ؟
- عندما يتحول الأولاد من أشرار إلى صالحين، تصبح لديهم ميّزة الظهور أمام أهلهم وأمام كل من يحيطون بهم بمظهر آخر جديد وجميل.
- أين توارى بينوكيو الخشبي القديم؟

«انظر إلى نفسك»، أجاب جيبيتو، وأشار إلى دمية تستند على كرسي، رأسها مائل إلى أحد الجانبين، أذرعها متدلية، أرجلها متشابكة ومطوية إلى

النصف، وبتلك الهيئة بدا أن معجزة فقط يمكنها أن تعيدها إلى وضعية الوقوف.

التفت بينوكيو ليتأملها، وعندما أمعن النظر فيها، قال لنفسه برضا شديد:

- كم كنت مُضحكًا عندما كنتُ دمية! والآن كم أنا سعيد لأنني أصبحتُ فتى، كما ينبغي!

كارلو كولّودي

(1826 – 1890)

في توسكانا الإيطالية التي كانت لا تزال غارقة في النظام القديم أبصر النور. والدته هي الدوقة ماريانا جينوري.

اسمه الحقيقي هو كارلو لورنزيني، ولد في فلورنسا في 24 نوفمبر 1826، وبعد تلقي تعليمه الأولي ذهب إلى المدرسة الكهنوتية حيث درس الخطابة والفلسفة. بفضل ذلك تمكّن من الوصول إلى الكتب التي كانت تحظرها الكنيسة والدوق نفسه. بدأ حياته المهنية في مكتبة وكان عمره حينذاك 18 سنة، ونتيجة لمزاولته بعض الأنشطة السياسية قام بنشر أعماله الأدبية الأولى في جريدة «ال لامبيون» الساخرة. لكنّ هذه توقفت بسبب فرض الرقابة عليها عام 1849 بأمر من دوق توسكانا الكبير، حتى سُمح بطباعتها من جديد في مايو 1860.

أثناء البدايات الصعبة للأمة الجديدة، شارك عام 1859 في حرب الاستقلال الإيطالية الثانية جنديًا نظامي في جيش بييمونتي، وساهم من خلال عمله الصحفي على جبهات القتال في كتابة منشورات تدعو إلى وحدة توسكانا وبييمونتي، موقعًا عليها باسم مستعار هو كولّودي.

بعد الحرب، عاد كولّودي إلى نشاطه الصحفي، ومنذ عام 1860 عمل في لجنة الرقابة على المسرح. وفي أوقات فراغه بدأ كتابة أفلام كوميدية وروايات، لكن دون نجاح كبير.

منذ عام 1875 بدأ بالكتابة للأطفال والقيام بتكييف بعض القصص التقليدية المعروفة وتحويرها، إضافة إلى تأليف بعض الكتب التعليمية التي زادت من شهرته.

بعد نجاح «قصة دمية» حاول كارلو كولّودي كتابة قصص أخرى، لكن دون نهايات. لكنه قبل رحيله تمكن من أن يحجز لنفسه مكانًا مرموقًا بين أبرز الكتاب الإيطاليين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

توفي كولّودي في فلورنسا في 26 أكتوبر 1890

من أهم أعماله:

(البقع) 1880، (عيون وأنوف) 1881، (مغامرات بينوكيو.. قصة دمية) 1883، (قصص ميلاد سعيد.. حكايات خرافية) 1887، (جيانيتينو.. رحلة جيانيتينو عبر إيطاليا) 1876.